٢٣٧

HARLEQUIN

روايات احلام

# عاصفة الصمت

بيني جوردان

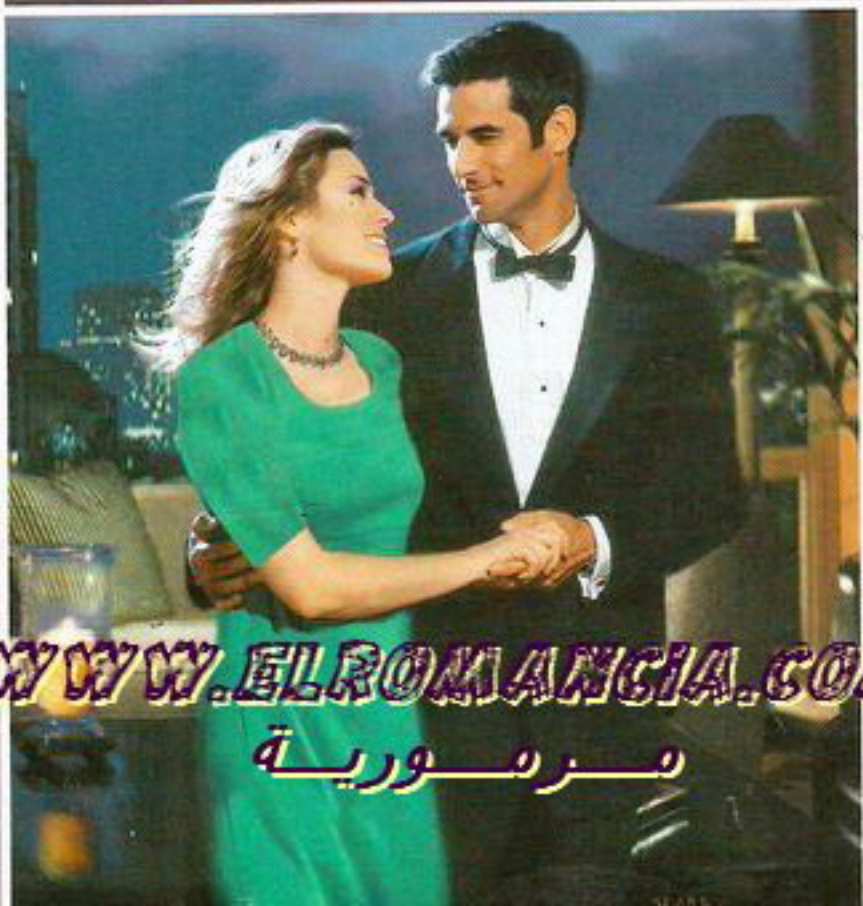



WWW.ELROMANCIA.COM
مـرمـوريـة

# عاصفة الصمت

كانت ساسكيا من النوع الذي يحتقره أندريس لاتيمر.. ألم تعرض عليه نفسها بكل وقاحة وبطريقة مثيرة للاشمئزاز؟

إن مبادئه تمنعه من مجرد التفكير في هكذا امرأة، فكيف إذا اكتشف أنها تعمل موظفة لديه؟

كانت صدمة لساسكيا معرفتها بأن مديرها الجديد هو أندريس، وهذا يعني فقدانها لوظيفتها وكل أمل لها في المستقبل.. إلا إذا..

فجأة، لاح لأندريس شعاع من النور في نهاية النفق المظلم، نفق مشكلته الحالية.. ستكون ساسكيا وسيلته إلى الحل!!

| | |
|---|---|
| لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل. | البحرين: ١ دينار |
| سوريا: ٧٥ ل.س. | السعودية: ١٠ ريال |
| الأردن: ١,٥٠ دينار | مصر: ٥ جنيه |
| الكويت: ٧٥٠ فلس | المغرب: ١٥ درهم |
| الإمارات: ١٠ دراهم | تونس: ٢ دينار |
| قطر: ١٠ ريال | عُمان: ١ ريال |

ISBN 9953-15-062-1

# ١ ـ فتاة الإغواء

إنها الخامسة إلا ربعاً! أسرعت ساسكيا عبر ردهة المكتب الذي تعمل فيه، واتجهت عابسة نحو باب الخروج. فقد تأخرت ولم يكن لديها وقت للتوقف، عندما صاحت بها موظفة الاستقبال قائلة: «تتسللين خارجة قبل انتهاء الدوام.. يا لحظك!».

وعندما سمع «أندريس» تعليق الموظفة، قطب جبينه. كان واقفاً ينتظر وصول المصعد الخاص بكبار الموظفين، فلم تره ساسكيا التي كانت مسرعة، إلاّ أن أندريس رأى تلك السمراء ذات الساقين الرائعتين والشعر البني القاتم ذي الوهج الذهبي المحمرّ الذي يشير إلى مزاجها الناري الحاد، وانتبه فجأة إلى منحى أفكاره. فالتورط مع امرأة... أي امرأة هو آخر ما يريده في الوقت الحالي.

وازداد تقطيب جبينه، وراح يتذكر كيف تمكن من إقناع جده بالتقاعد جزئياً من إدارة سلسلة الفنادق التي باتت الآن تحت إشراف أندريس، لكن العجوز شن بالمقابل حملة قوية صارمة لإقناع أندريس بالزواج بابنة أخيه، ففي نظر الجدّ، من شأن زواج مماثل أن يوحدّ الأسرة وبالتالي بين «شركة الخطوط البحرية» التي ورثتها عروس أندريس وهي ابنة عم أمه، وبين ثروته المتمثلة بسلسلة الفنادق هذه والتي بدوره سيرثها كلياً عن جده. كان أندريس يعلم في أعماقه أن العاطفة الأسرية تحرك جده أكثر مما يريد الاعتراف به رغم أنه كان قد

سمح لابنته، أم أندريس، بأن تتزوج من رجل إنكليزي.

إلاّ أن هذه المحاولات الخرقاء لتزويج أندريس بابنة عم أمه أثينا ما كانت لتترك في نفسه سوى السخرية لولا حقيقة هامة وهي أن أثينا نفسها كانت أكثر حرصاً على هذا الزواج من جدّه. وقد أوضحت رغبتها هذه بوضوح. إن أثينا أرملة وتكبر أندريس بسبع سنوات ولها ابنتان من زوجها الأول وهو رجل يوناني، وهذا ما جعل أندريس يشك في أن أثينا نفسها ربما هي التي وضعت هذه الفكرة السخيفة عن زواجهما في ذهن جده منذ البداية.

بلغ المصعد الطابق الأعلى، فخرج أندريس منه. لم يكن الوقت مناسباً للتفكير في شؤونه الخاصة، لأن عليه السفر إلى الجزيرة التي يملكها جده في بحر «إيجة» حيث ستمضي فيها الأسرة عطلتها بعد أسبوعين. ولكن جده، قبل ذلك، كان يريد منه تقريراً مفصلاً عن مشروعه الذي يقضي بتحويل سلسلة الفنادق البريطانية التي اشتروها حديثاً، إلى مشروع ناجح كبقية الفنادق التي يمتلكونها. وهذه الفنادق البريطانية قديمة الطراز وقد أنهكها الزمن، إلاّ أنها تتميز بمواقعها الاستراتيجية والسياحية.

لم يكن أندريس مضطراً للذهاب إلى مكتبه قبل الغد، إلا أنه فضّل القدوم عصر هذا اليوم لإنهاء عدّة أعمال واطلاع جده على مشروعه الجديد قبل ذهابه لقضاء العطلة مع العائلة.

ثم اتجه تفكيره إلى المرأة الشابة التي رآها تخرج مسرعة وقبل انتهاء الدوام، فعلا العبوس وجهه مجدداً. وعبست ساسكيا وهي توقف سيارة تاكسي. منذ استلمت عملها وهي تصل إلى مكتبها عند السابعة والنصف، كما أنها لا تأخذ ساعة الغداء، لكن جميع الموظفين كان قد وصلهم تحذير بأن شركة فنادق ديميتريوس، التي استلمت سلسلة



فنادقهم الصغيرة، صارمة جداً فيما يتعلق بتخفيض النفقات. وغداً صباحاً عليهم جميعاً أن يجتمعوا برئيسهم الجديد للمرة الأولى، ولم تكن ساسكيا تتطلع بشوق إلى هذا اللقاء. فقد كثر الحديث عن تخفيض الرواتب، وعن شخصية المدير الجديد أندريس لاتيمير الصارمة والمخيفة.

كان الجد معروفاً بالعناد والصرامة، لكن يبدو أن الحفيد تفوق على جده. فكلاهما يتبع المبدأ القائل (النزيل دوماً على حق وإن كان مخطئاً)... وتعيس الموظف الذي ينسى ذلك.. وهذا، طبعاً، زاد من نسبة زبائن فنادقهم التي داع صيتها وتضاعفت أرباحها.

توقف التاكسي، أمام المطعم الإيطالي الطراز التي كانت تقصده، فدفعت الأجرة إلى السائق بسرعة ثم هرعت إلى الداخل: «آه، يا ساسكيا.. أهذه أنت؟ ظننا أنك لن تستطيعي المجيء».

ـ آسفة.

اعتذرت ساسكيا وهي تجلس على المقعد الشاغر عند المائدة المعدة لثلاثة أشخاص حيث ترتب أمر الاجتماع، وقالت شارحة: «الخوف سائد بين الموظفين، بسبب وصول الرئيس الجديد غداً».

وسكتت عندما رأت أن صديقتها المفضلة لم تكن تصغي، وأن وجهها الرقيق المبتسم عادة، كان منهكاً تعساً، فسألتها على الفور: «ماذا حدث؟».

ـ كنت أخبر «لورين» لتوّي عن مدى تعاستي.

أجابت «ميغان» بذلك وهي تشير إلى لورين ابنة عمها، وهي امرأة تكبرهما سناً، عليها سمات نساء الأعمال وقد بدا على وجهها أيضاً شيء من الإجهاد والتعب.

ـ تعاستك؟

سألتها ساسكيا بتعجب وقد علا العبوس وجهها البيضاوي الصغير وهي تدفع شعرها الطويل إلى الخلف وتتناول الخبز بلهفة، فهي تكاد تموت جوعاً.

ـ إنه مارك.

قالت ميغان ذلك بصوت مرتجف قليلاً وقد ملأ اليأس عينيها البنيتين، فسقط الخبز من يد ساسكيا وهي تنظر إلى صديقتها باهتمام: «مارك؟ لكنني ظننت أنكما على وشك إعلان خطوبتكما».

ـ نعم.. كنا.. نحن، كان مارك يريد، على الأقل..

ثم سكتت ميغان فتولّت لورين متابعة الكلام عابسة: «تظن ميغان أنه متورط مع فتاة أخرى.. في الوقت نفسه».

كان زواج لورين، التي تكبرهما بعشر سنوات تقريباً، قد تحطم منذ مدة، لذا تشعر دوماً بالغضب والإزدراء حيال الرجال. وهتفت ساسكيا: «آه، هذا غير ممكن. ميغان أنت بنفسك أخبرتني بمدى حب مارك لك».

ـ حسناً، هذا ما ظننته. خصوصاً عندما قال إنه يريد أن نعقد خطبتنا. ولكن.. هناك مكالمات هاتفية تصله دائماً. وإذا أجبتُ أنا يُقفل الخط. حدث ذلك ثلاث مرات هذا الأسبوع، وعندما سألته عن ذلك أجاب أن الرقم كان خاطئاً.

ـ حسناً، ربما كان الرقم كذلك فعلاً.

لكن ميغان هزت رأسها: «لا، هذا غير صحيح، لأن مارك يبقى دوماً جالساً قرب الهاتف، والليلة الماضية كان يتحدث من هاتفه الخليوي عندما دخلت، وما إن رآني حتى أنهى المكالمة».

ـ ألم تسأليه عمّا يحدث؟

أجابت ميغان بحزن: «سألته، فقال إن هذه مجرد تصورات



أتخيلها».

فقالت لورين وقد لوت شفتيها بعبوس مخيف: «هكذا هم الرجال... لقد بذل زوجي السابق جهده في إقناعي بأنني واهمة، فماذا فعل؟ لقد انتقل إلى البيت مع سكرتيرته، طالباً مني الرحيل».

ـ أتمنى فقط لو كان صريحاً معي.

قالت ميغان ذلك لساسكيا وقد اغرورقت عيناها بالدموع.

ـ إذا كانت هناك فتاة أخرى.. أنا.. لا يمكنني أن أصدق أنه يخونني.. كنتُ أظنه يحبني كثيراً..

ـ أنا واثقة من أنه يحبك.

راحت ساسكيا تخفف عنها بكلام لطيف، فهي لم تكن تعرف مارك بعد، إلاّ أنها تعرف مدى حب صديقتها ميغان لمارك من خلال حديثها عنه، ثم قالت لورين بجفاء: «حسناً، هناك طريقة مضمونة للتأكد من ذلك. لقد قرأت مقالة عن وكالة تقصدينها عندما تتملكك الشكوك حول صديقك، فيرسلون له فتاة تحاول إغراءه، فإذا وقع في الفخ، تأكد شكك، وإلاّ فأنتِ واهمة... ليس أمامك إلاّ هذا الخيار».

فهتفت ميغان: «آه، لا. لا أستطيع».

فأصرّت لورين بقوة: «بل عليك ذلك، إنها الطريقة الوحيدة التي تخوّلك معرفة ما إذا بإمكانك الثقة بمارك. يا ليتني قمتُ بشيء كهذا قبل أن أتزوج. عليك أن تقومي بذلك، إن مارك يجاهد في التوفيق بين دخله ومصروفه منذ باشر عمله الخاص، يا ميغان، وأنت قد ورثتِ ذلك المال من عمة أبيك».

غاص قلب ساسكيا قليلاً وهي تصغي. هي تحب صديقتها كثيراً، لكنها تعلم أن ميغان سهلة الوقوع تحت سيطرة ابنة عمها لورين وتنفّذ ما تملي عليها. لم يكن لدى ساسكيا شيء ضد لورين، بل على

العكس، كانت تحبها، لكنها كانت تعلم من خبرة سابقة أن لورين إذا فقدت السيطرة على نفسها، فهي تصمم بعنف على تسيير الأمور وفق مشيئتها، وتظن ساسكيا أن ذلك ربما كان أحد أسباب تحطم زواجها. إنما الآن، رغم تعاطفها الفائق مع ميغان، فقد كانت ساسكيا جائعة.. جائعة جداً.. فنظرت إلى قائمة الطعام بشوق، بينما ميغان تقول موافقة: «حسناً.. هذه تبدو فكرة معقولة، لكنني لا أظن أنّ في «هلفورد» وكالة مماثلة».

فقالت لورين وقد علت الابتسامة وجهها: «ومن يحتاج إلى وكالة؟ ما أنت بحاجة إليه هي صديقة جميلة للغاية لا يعرفها مارك، ويمكنها محاولة إغرائه. فإذا تجاوب معها..».

فقاطعتها ميغان متأملة: «صديقة جميلة للغاية؟ أتعنين مثل ساسكيا؟».

أخذت المرأتان تتفرسان في ساسكيا وهي تقضم قطعة من الخبز، وأجابت لورين بصوت خافت: «بالضبط. ساسكيا ممتازة لهذا الدور».

فكادت ساسكيا تختنق باللقمة عندما سمعت ذلك وهتفت محتجة: «ماذا؟ أنتِ تمزحين. آه، لا.. لا سبيل إلى ذلك».

وعندما رأت التصميم في عيني لورين والتضرع في عيني ميغان، ردّدت كلامها: «لا.. لا سبيل إلى ذلك على الإطلاق. هذا جنون يا ميغان، أنت تحبين مارك، فكيف تفعلين به شيئاً مماثلاً؟».

أجابت لورين بحدة وحزم: «وكيف يمكنها أن تجازف بتسليمه حياتها إذا لم تكن واثقة منه؟ حسناً، لقد سُوّي الأمر إذن، وما نحتاجه الآن هو أن نعيّن المكان الذي يمكن أن تقابل فيه ساسكيا مارك بالصدفة، ثم نضع خطة العمل».



فقالت ميغان: «حسناً، الليلة سيخرج مارك مع أصدقائه. فقد قال الليلة الماضية إنهم عازمون على الذهاب إلى تلك الحانة التي افتُتحت حديثاً، لأن أحد أصدقائه يعرف صاحبها».

ـ لا يمكن أن أفعل هذا.. إنه.. إنه.. إنه عمل غير أخلاقي.

ونظرت باعتذار إلى ميغان وهي تهز رأسها قائلة: «آسفة يا ميغان، ولكن..».

فقاطعتها لورين بحدة: «كنت أظنك سترغبين بمساعدة ميغان، يا ساسكيا، لتحافظي على سعادتها، خصوصاً بعد كل ما فعلته لأجلك».

عضت ساسكيا شفتها السفلى بأسنانها الجميلة الناصعة البياض... لورين محقّة، فهي تدين لميغان بالكثير.

منذ ستة أشهر، كانت ساسكيا تتأخر في العمل كل مساء وتعمل أثناء العطل الأسبوعية أيضاً، وكانت جدتها، التي ربتها بعد تحطم زواج أبويها الشابين، قد أصيبت بمرض خطير، فراحت ميغان بصفتها ممرضة، تعتني بها متخلية عن كل أوقات فراغها وبعض إجازاتها، كمساعدة منها لصديقتها ساسكيا.

واقشعر جسم ساسكيا وهي تفكر في ما كان سيحدث لجدتها لولا عناية ميغان بها. ومنذ ذلك الحين وهي تفكر كيف يمكنها إيفاء ذلك الدين لصديقتها ميغان. فلطالما كانت ساسكيا متعلّقة بجدتها التي أنشأتها وغمرتها بحبها وحنانها في الوقت الذي كانت فيه بأمسّ الحاجة إلى ذلك. فقد كانت أمها التي ولدتها وهي في السابعة عشرة، بعيدة عن حياتها، وكذلك أبوها الذي هاجر إلى الصين حيث يعيش مع زوجته الثانية وأولاده، وقاطعت ميغان أفكار ساسكيا وقالت بهدوء: «أنا أعلم أنك غير موافقة على هذا الأمر، يا ساسكيا. ولكن عليّ التأكد إن كان بإمكاني الوثوق بمارك».

واغرورقت عيناها الرقيقتان بالدموع: «إنه يعني لي الكثير، ولكنه.. خرج مع فتيات كثيرات قبلي، عندما كان يعيش في لندن، وهو يقسم بأنه لم يحب حقيقة أياً منهن، وأنه يحبني أنا».

لم تكن ساسكيا واثقة أنها تستطيع الارتباط برجل دونما الاقتناع أنه بإمكانها الوثوق به.. الثقة إلى درجة لا تشعر معها بأنها بحاجة إلى طريقة تمتحن بها إخلاصه. لكنها ما لبثت أن اعترفت بينها وبين نفسها أنها ربما كانت أكثر حذراً من صديقتها في مسائل الحب، فوالداها كانا يظنان أنهما مغرمان ببعضهما البعض حين هربا معاً وتزوجا ثم أنجباها، لكنهما انفصلا بعد ذلك بسنتين وتركاها في عهدة جدتها.

جدتها! والآن، وهي ترى وجه ميغان المبلل بالدموع، أدركت أنه ليس لديها سوى القبول بمشروع لورين، لمساعدة ميغان وإيفاء الدين الذي يثقل ضميرها.

- لا بأس، سأفعل هذا.

قالت ذلك باستسلام.

وبعد أن شكرتها ميغان وعلت الابتسامة وجهها، قالت ساسكيا: «عليك أن تصفي لي مارك هذا، يا ميغان لكي أتمكن من تمييزه».

فقالت ميغان بحماسة وغبطة: «آه، هذا صحيح. سيكون الأجمل والأكثر وسامة بين الحاضرين! إنه رائع يا ساسكيا.. جذاب، ذو شعر قاتم كثيف وفم جميل للغاية.. ثم سيكون مرتدياً قميصاً أزرق بلون عينيه، فهو دوماً يفعل هذا.. وأنا قد اشتريت له تلك القمصان».

- في أي وقت سيكون هناك؟

سألتها ساسكيا ذلك بلهجة عملية لا تشابه مشاعرها.

- إن سيارتي حالياً في الكاراج، وبما أن بيت جدتي بعيد عن المدينة...



- لا تهتمي بالمواصلات، سآخذك أنا إلى هناك.

تطوعت لورين بذلك فدهشت ساسكيا، لأن الكرم لم يكن من عادة لورين.

قالت ميغان: «نعم، وستعود لورين لتأخذك من الحانة وتقلّك إلى بيتك. أليس كذلك يا لورين؟ لأن سيارات الأجرة لا تمرّ من قرب الحانة».

كان النادل في المطعم يحوم حولهن منتظراً أوامرهن لإحضار الطعام، لكن لورين المستبدة هزت رأسها، قائلة لميغان وساسكيا بحزم: «ليس لدينا وقت نأكل فيه الآن، على ساسكيا أن تذهب إلى بيتها وتستعد للذهاب. متى يكون مارك في الحانة، يا ميغان؟».

- حوالى الثامنة والنصف، على ما أظن.

- هذا حسن، عليك إذن أن تكوني هناك في التاسعة، يا ساسكيا. سأمرّ لاصطحابك عند الساعة الثامنة والنصف.

بعد ساعتين، كانت ساسكيا ترتدي تنورتها السوداء وقد تملكها شيء من التوتر. وعندما سمعت رنين جرس الباب، نزلت من غرفتها لتفتح بنفسها لأن جدتها كانت تمضي عدة أسابيع مع شقيقتها في «باث».

أتت لورين بمفردها، فقد رأت الصديقات الثلاث أنه من الغباء المجازفة بذهاب ميغان معهما خوفاً من أن يراها أحد يعرفها. وأخذت لورين تتفحص ساسكيا ثم عبست وقالت بحدة: «عليك أن ترتدي شيئاً آخر، مظهرك يبدو وكأنك ذاهبة للعمل ولا يشجع على التقرب إليك، تذكري بأن على مارك الاعتقاد بأنك سهلة المنال. كما أنه عليك وضع أحمر شفاه مختلف، وإضافة المزيد من الكحل حول عينيك وإذا كنت لا تصدقيني فاقرأي هذه».

وقدّمت لورين لساسكيا مجلة مفتوحة.

قرأت ساسكيا المقالة، بالرغم عنها، مقطبة الجبين، ومفادها أنّ الوكالة مستعدة لإرسال فتياتها لامتحان إخلاص رجال موكلاتهن كما أنها تعدد مواصفات هؤلاء الفتيات، فقالت للورين بحزم:

- لا يمكنني القيام بأي من هذا. أما بالنسبة إلى الطقم..

دخلت لورين إلى الردهة وأغلقت الباب خلفها ثم قالت بعنف:

- عليك القيام بذلك لأجل ميغان، ألا ترين ما يحدث لها؟ الخطر الذي يكتنفها؟ إنها مجنونة بغرام هذا الرجل. لم يمضِ على علاقتهما أربعة أشهر، وها هي تتحدث عن تسليمه ميراثها بأكمله.. والزواج.. وإنجاب أولاد منه. أتعلمين كم تركت لها عمة أبيها؟

هزت ساسكيا رأسها بصمت. كانت تعلم مدى الدهشة والذهول اللذين تملكا ميغان عندما علمت بأنها وريثة عمتها الوحيدة، لكن اللباقة منعت ساسكيا من سؤال ميغان عن مقدار الميراث.

قالت لورين:

- لقد ورثت ميغان ما يقرب الثلاثة ملايين جنيه.

وعندما رأت ما بدا على ملامح ساسكيا، أومأت برأسها بعبوس.

- هل عرفت الآن أهمية ما نقوم به لحمايتها؟ لقد حاولت تحذيرها مرات عدة من أن مارك الغالي على قلبها قد لا يكون مخلصاً كما يحاول أن يبدو، لكنها لم تصغِ إليّ. والآن، والحمد لله، قد بدأت تراه على حقيقته. لذا، لأجلها يا ساسكيا، عليك القيام بما في وسعك لمساعدتها ولإثبات خيانته. تصوري ما سيحدث لميغان إذا سرق أموالها فضلاً عن تحطيم قلبها! ستنهار من دون شك.

كان بإمكان ساسكيا أن تتصور ذلك جيداً، حيث لم يكن لجدتها



سوى راتب التقاعد البسيط الذي تعيش منه. لكن ساسكيا لم تنسَ التضحيات التي بذلتها جدتها لكي تربيها بشكل جيد ولا تحرمها من الملذات التي تُفرحها.

وكان مجرد التفكير في خسارة مصدر رزقها وذلك الشعور بالاستقلالية المادية. يرعبها وجاء حديث لورين ليكون ليس فقط الحافز بل أيضاً الرغبة في القيام بأي شيء في سبيل حماية صديقتها، وراحت تحدث نفسها: «ميغان، ميغان العزيزة الحلوة المليئة بالثقة، التي ما زالت تعمل كممرضة رغم الثروة التي ورثتها. ميغان تستحق رجلاً يستحقها حقاً، فإذا لم يكن مارك هذا.. حسناً، ربما، عندئذٍ من الأفضل لصديقتها أن تعلم ذلك من أول الطريق. أما لورين التي ما زالت تتأمل ساسكيا، فقالت:

- ربما إذا خلعت السترة.. يمكنك أن ترتدي بلوزة صيفية جذابة.. أو حتى..

وسكتت عندما رأت ملامح ساسكيا وهي تقول:

- بلوزة صيفية نعم.. أما جذابة فلا.

وعندما رأت النظرة في عيني لورين سكتت، إذ لا فائدة من محاولة الشرح لامرأة مثل لورين بأن الطبيعة، وإن منحتها ميزات وصفات معينة، فقد تعلمت ساسكيا منذ صغرها أن تلك الميزات ممكن أن تكون سلاحاً ذا حدّين. وبصراحة أكثر، فالرجال، حسب خبرة ساسكيا، ليسوا بحاجة إلى رؤية جسدها في ملابس فاضحة ليتشجعوا وينظروا إليها مرتين، وغالباً ما يرغبون في القيام بأكثر من مجرد النظر.

ثم قالت لورين: «لا بد أن لديك شيئاً ما، سترة خفيفة من الصوف مفتوحة الأزرار مثلاً..».

- سترة من الصوف؟ نعم، لديّ واحدة، ولكن لن أرتديها مفتوحة

الأزرار . .

اشترت ساسكيا هذه السترة في منتصف الربيع حين بدأ الطقس يبرد قليلاً. وأضافت لورين:

ـ وكما قلت لك، ضعي أحمر شفاه ملفتاً، وأضيفي المزيد من الكحل في عينيك. يجب أن يشعر مارك بأنك تجدينه جذاباً . .

وسكتت عندما رفعت ساسكيا حاجبيها:

ـ لأجل ميغان.

وعندما غادرا المنزل أخيراً، كانت الساعة تقارب التاسعة، وقد زادت ساسكيا من تبرجها عما اعتادته نزولاً عند إلحاح لورين.

شعرت ساسكيا بعدم الإرتياح لمظهرها، بحيث لم تستطع النظر إلى مرآة الردهة. يا له من أحمر شفاه كثيف ولزج يثير الانزعاج! وعندما اتجهت لورين بسيارتها نحو «هيلفورد»، أخذت ساسكيا تقاوم رغبتها في مسح الحمرة عن شفتيها. أما بالنسبة إلى السترة المفتوحة التي ارتدتها. . . فما إن تدخل الحانة وتصبح بعيدة عن نظر لورين، حتى تزرزها مجدداً بعد أن أصرّت لورين على تركها مفتوحة لمزيد من الإغراء. لأن هذا كان أكثر مما اعتادت ساسكيا السماح به في لباسها حتى في المناسبات.

وعندما وصلا، أوقفت لورين السيارة أمام باب الحانة: «ها قد وصلنا. سآتي لأخذك عند الحادية عشرة. . وسيكون هذا وقتاً كافياً. تذكري، نحن نفعل هذا لأجل ميغان».

نحن؟ ولكن قبل أن تتمكن ساسكيا من قول شيء، كانت لورين قد انطلقت بسيارتها، وكان رجل يسير على الرصيف قد توقف عندما رأى ساسكيا ونظر إليها بإعجاب. وبحركة تلقائية ابتعدت عنه مشيحة بوجهها، ثم توجهت نحو باب الحانة.



كانت لورين قد أعطتها قائمة طويلة من الإرشادات، معظم ما فيها جعل ساسكيا تصر على أسنانها، وقد شعرت بأنها ستفقد شجاعتها لتنفيذ الخطة. لا سبيل لدخول الحانة والتصرف بطريقة مغرية كما طلبت لورين منها. لكنها إذا لم تفعل ذلك، قد يتحطم قلب صديقتها ميغان المسكينة وتخسر ميراثها. أخذت نفساً عميقاً، ثم دفعت باب الحانة.

* * *

## ٢ ـ رجل في الاختبار

رأى أندريس ساسكيا في اللحظة التي دخلت فيها الحانة. كان يجلس عند المقصف المحاط بمجموعة من الشبان الذين جاؤوا قبلها مباشرة. كان بإمكان أندريس البقاء في منزله أو الذهاب إلى مكان أقرب إلى أملاكهم الجديدة.. لكنه تلقى مكالمتين طويلتين شعر بعدهما بالضيق والتوتر، إحداهما من جده والثانية من أثينا، لذا قرر الذهاب إلى مكان لا يمكن فيه لأي منهما الاتصال به، كما تعمّد ترك هاتفه الخليوي في البيت. وعندما وصل إلى الحانة، لم يكن بمزاج جيد فهو لا يحب مثل هذه الأماكن ولا يرتادها إلاّ نادراً لأنه يحب الطعام الجيد في جوّ مريح حيث يمكن للمرء التفكير والتحدث بهدوء وبسهولة، كما أن طبيعته اليونانية جعلته يفضل الأماكن الأنسب للعائلات والأقل جذباً للجنس اللطيف.

تصلّبت قسماته لمجرد تفكيره في الجنس اللطيف، وذلك بسبب أثينا التي تزداد وقاحة في محاولاتها المستمرة لإقناعه بالزواج منها.

كان أندريس في الخامسة عشرة عندما تحرّشت به أثينا للمرة الأولى، وكانت هي حينذاك في الثانية والعشرين وعلى وشك الزواج، لذا هو يشعر بالكراهية تجاهها منذ الصغر، وهذا ما ترك في نفسه أثراً سلبياً تجاه الجنس اللطيف بشكل عام. قطب جبينه وهو يراقب ساسكيا التي وقفت عند الباب مباشرة تفحص القاعة وكأنها تبحث عن شخص



معيّن. أدارت رأسها فانعكس الضوء على شفتيها المصبوغتين اللامعتين.

تنفس أندريس بعمق وهو يجاهد للسيطرة على ردة فعله غير المرغوب فيها نحوها. ما الذي يفعله بحق جهنم؟ كان غرضها واضحاً جداً بحمرة الشفاه تلك القرمزية الصارخة مما جعله يضحك لا أن يفكر في.. في ماذا؟ الرغبة..؟

وتملكته السخرية وموجة من الإشمئزاز من الذات. لقد عرفها طبعاً! إنها الفتاة التي رآها عصر هذا اليوم في العمل، الفتاة التي هنأتها موظفة الاستقبال لانسلالها خارجة من العمل مبكرة. ولكن حينذاك، لم تكن متبرّجة إلى هذا الحدّ. أما الآن.. ونظر متجهماً إلى فمها المصبوغ وعينيها المكحولتين بإفراط، متجهماً. فرآها ترتدي طقماً قصير التنورة.. ولفت نظره ساقاها الطويلتان المكسوتان بجوربين طويلين أسودين شفافين، إنها تنورة قصيرة جداً.. جداً!

قطبت ساسكيا جبينها وهي تشعر بمدى قصر هذه التنورة التي أرغمتها لورين على ثنيها عند الخصر لتقصيرها. وكانت ساسكيا مصمّمة على أنها ما إن تجد مارك، حتى تتوجه إلى غرفة الملابس فتعيد التنورة إلى طولها الطبيعي، وتذكرت أنها صاحت بوجه لورين شبه باكية:

ـ لا يمكنني أن أخرج بهذا الشكل.

ـ لا تكوني سخيفة. هذه لا شيء، ألم تري صوراً من الستينات؟

كانت ساسكيا قد رفضت تقصير التنورة، لكن لورين رفضت الإذعان. وفي النهاية هزت ساسكيا كتفيها بالإيجاب مرغمة وخففت عن نفسها بأنها عندما تتوارى لورين عن النظر، ستصنع بتنورتها ما تشاء. كما أن السترة الصوفية المفتوحة كانت تشعرها بعدم الارتياح،

فأخذت، دون وعي، تعبث بأول الأزرار المفكوكة.

ضاقت عينا أندريس وهو يراها تفعل ذلك. من الواضح أنها بذلك تلفت الأنظار إلى صدرها.. واكتشف أندريس أنه بدأ يصر على أسنانه، والأهم من ذلك، أنه لم يستطع تحويل نظراته عنها.

شعرت ساسكيا بأنها مراقبة، فالتفتت ثم جمدت مكانها عندما اشتبكت نظراتها بنظرات أندريس القوية.

مضت لحظة دار فيها رأسها، وكان ذلك هو تأثير رجولة أندريس الفياضة عليها. أخذ قلبها يخفق، وجفّ ريقها.. بينما تسمّر جسمها مكانه. جاهدت بعجز للتخلص من هذه الأحاسيس التي لا يجدر أن تخالجها، لأن مارك حبيب ميغان، لا بد أنه هو. ولكن.. لا يمكنها أن تشعر بأي شيء تجاهه، واستنكرت ذلك بذعر، فهي أتت لمساعدة صديقتها ميغان.. إنه هو، إذ لم يكن في القاعة من يشبه الأوصاف التي ذكرتها ميغان لها، سوى هذا الرجل. كانت، قد نبذت مبالغة ميغان في وصفه.. معتبرة ذلك هذيان امرأة غارقة في الحب. رائع.. خلاب.. وسيم.. جذاب.. وهو سيكون لابساً قميصاً أزرق، هكذا قالت ميغان، لكي يناسب لون عينيه. حسناً.. لم تستطع ساسكيا رؤية لون عينيه في الضوء الخافت من هذه المسافة التي تفصل بينهما. لكنها أقرّت بأن ميغان على حق في كل ما وصفته به.. وازدادت دقات قلبها. هذا إذن هو مارك حبيب ميغان، لا عجب إذن من قلقها والشك في إخلاصه لها.. فرجل بهذه الوسامة لا بد وأن تلاحقه النساء على الدوام.

من الغريب أن ميغان لم تذكر أهم مزاياه، وهي أنه ليس فقط رجلاً وسيماً جذاباً بل يتمتع أيضاً بفيض عميق وقويّ من السلطة التي تقرب من الغطرسة. لقد صعق ذلك ساسكيا منذ اللحظة التي نظرت فيها إليه،



والتقت بنظراته المتحفظة المتفحصة التي سرعان ما تبعتها نظرة ازدراء واستنكار.. كيف يجرؤ على النظر إليها بهذا الشكل؟ وفجأة، تبدّدت كل الشكوك التي جالت في نفسها بشأن ما وافقت على القيام به.

كانت لورين محقّة في ارتيابها بحركات هذا الرجل، خصوصاً بالنسبة إلى فتاة ساذجة رقيقة ولا تمتلك الخبرة الكافية مثل ميغان، ساسكيا لم تشعر بالثقة نحوه مثقال ذرة. إن ميغان بحاجة إلى رجل يقدّر رقتها ويعاملها على هذا الأساس، وهذا الرجل قويّ مهيب رهيب مثبّط للهمة وهو يمتلك شيئاً خفياً يرغم الآخرين على النظر إليه. اكتشفت ذلك حين لم تستطع أن تحوّل نظراتها عنه، إلاّ أنها عزت ذلك فقط لكراهيتها له، فطمأنت نفسها بسرعة. باتت ساسكيا مقتنعة بمدى صوابية لورين في رغبتها في امتحان إخلاص مارك لميغان. وأخفت بحزم توترها وتنفست بعمق، وهي تتذكر ما قرأته في المقالة التي دستها لورين تحت أنفها، ثم تملكها الرعب من الوسائل التي كانت فتيات الوكالة يستعملنها لإغواء الفريسة وإيقاعها في الشرك. حتى خطر في بالها بأن ما من رجل يمكنه إيجاد القوة لمقاومة إغراء تلك الفتيات المتعمّد..

ولكن رجلاً مثل مارك لا بد أنه معتاد على أن تلقي النساء الجميلات أنفسهن عليه، وكما قالت ميغان ببراءة (لقد خرج مع فتيات كثيرات قبل أن يعرفني)، وكانت ساسكيا واثقة من ذلك. فميغان عذبة للغاية، وساسكيا شغوف بها ومخلصة لها للغاية، ولكن عليها الاعتراف بأن صديقتها لا تتمتع بتلك الجاذبية الصارخة التي يتطلع إليها رجل كمارك ولكن ربما هذا ما أحبه فيها.. فهي خجولة وبسيطة وبريئة، هذا إذا كان يحبها.. حسناً، هذا ما على ساسكيا إثباته.. أو

نفيه.

كان أندريس يراقبها بمزيج من الفضول وخيبة الأمل، وهي تتجه إليه. وبشموخ هادىء لم تتجاهل نظرات الاهتمام التي كان يلقيها عليها، أثناء ذلك، الرجال الآخرون، وإنما بدا عليها وكأنها لم تلاحظها. كل ذلك مخطط له تماماً كتلك السترة المفتوحة الأزرار، وكان أندريس يعرف هذا النوع. فأثينا خير مثال!

ـ آه، أنا آسفة.

اعتذرت ساسكيا عندما وصلت إلى جانب أندريس، ثم تعثرت (بالصدفة) ووقعت عليه. لكنها عادت فاستقامت ثم وقفت بجانبه عند المقصف، وهي تمنحه ابتسامة اعتذار ساحرة، بينما اقتربت منه حتى استطاع أن يشم رائحتها.. وليس رائحة عطرها الخفيف المستخلص من الأزهار. ولكن رائحتها.. تلك الرائحة الناعمة العذبة التي تثير الحواس وتبرز شخصيتها... وكالحمقى، أخذ هو يتنشق تلك الرائحة حتى كادت تسكره.. تاركاً حواسه تستجيب.. لها..

كانت لورين قد درّبتها على ذلك، فحفظت ساكسيا تعليماتها عن ظهر قلب، إلا أنها لم تُخف عبوسها تارة واشمئزازها تارة أخرى أثناء قيامها بذلك.

أرغم أندريس نفسه على التراجع عنها خطوة إلى الخلف، ثم وضع مسافة بينهما، لكن المقصف كان مزدحماً فاستحال عليه الابتعاد عنها أكثر. وهكذا، بدلاً من ذلك سألها ببرودة: «آسف.. ولكن هل أعرفك؟».

أدرك أن صوته وتصرفه يوضحان بأنه يعرف مقصدها، أما لماذا تقصد امرأة بهذا الشكل الحانات لتقتنص رجلاً، فهذا ما لم يكن يعرفه، أو لعله يعرف، لكنه لا يريد إمعان النظر فيه وإدراكه. كان يعلم أن هناك



نساءً يقمن بأي شيء لأجل المال.. أي شيء.. ومع أي شخص.. أياً كان.

لكن ساسكيا تواجهه الآن، وانفرجت شفتاها المصبوغتان بإفراط عن ابتسامة أدرك أنها مرغمة وهي تتمتم:

ـ آه، لا.. في الواقع، أنت لا.. لكنني أرجو أنك سوف تعرفني حالاً.

أحسّت ساسكيا بالارتياح لخفوت الضوء، وكانت تشعر بحرارة وجهها المتوهج. لم يحدث قط أن فكرت في التقدم من رجل بهذا الشكل، أو حتى تصورت ذلك. ثم انتقلت بسرعة إلى الجزء الثاني من حديثها المعدّ سلفاً وهي تفرج شفتيها عن ابتسامة، راجيةً أن تكون مغرية وتفي بالغرض. وبينما مررت لسانها على شفتيها بحذر صاحت في نفسها: «رباه! ما أسوأ مذاق حمرة الشفاه.. هذه».

ثم سألت الرجل ببعض الدلع: «ألن تسألني إن كنت أريد شراباً؟».

سألته هذا وهي تخفق بأهدابها آملة أن يكون هذا نوعاً من الإغراء، وأضافت بصوت ناعم:

ـ أحب لون قميصك.

ومالت عليه مضيفة: «إنه يماثل لون عينيك».

ـ إذا كان هذا ظنك، فلا بد أنك مصابة بعمى الألوان.. لأن عينيّ رماديتان.

قال لها أندريس ذلك باقتضاب. لقد بدأت تشعره بالغضب البالغ، كان تحرشها السافر به يبعث في نفسه الاحتقار. ولكن لا شيء يماثل حقارة ردة فعله السخيفة نحوها، أي رجل هو؟ هل هو غلام في الثامنة عشرة؟ يُفترض به أن يكون رجلاً.. رجلاً ناضجاً، محنكاً خبيراً وهو فوق الثلاثين.. ومع ذلك يتجاوب مع هذه الأساليب المغرية القديمة

والمثيرة للشفقة التي كانت تحاول إيقاعه فيها.. يتجاوب معها وكأنه.. وكأنه ماذا؟ وكأن لا شيء يريد فعله في هذه اللحظة سوى ضمها إليه ليشعر بدفئها.. وليسمعها تصرخ باسمه وليعانقها ويعانقها.

ـ اسمعي، إنت تقترفين غلطة كبيرة.

قال لها ذلك بحدة، مقاطعاً تصوراته غير المرغوب فيها عنه وعنها.

ـ آه، لا.

احتجت ساسكيا بلهفة وهي تراه يشيح بوجهه عنها. كان المفروض بها تقبل قوله هذا ببساطة لتعود إلى ميغان وتخبرها بأن حبيبها مخلص وبإمكانها الوثوق به. لكن شعوراً انتابها لم تستطع تحليله، فبالرغم من كل شواهد الرفض التي قدمها لها إلاّ أنه تأثر بإغرائها.. ومع أنها أقرّت أن أي رجل غيره كان سيتأثر مثله بإغرائها، إلاّ أنّ شيئاً ما في داخلها رفض ذلك، فقالت له: «لا يمكنك أن تكون غلطة أبداً، بالنسبة لأي امرأة..».

أخذ أندريس يتساءل، ببلاهة، عما إذا كان قد جنّ، لأن مجرد رغبته في امرأة تعرض نفسها عليه بصراحة، هو شيء كريه وبغيض في مبادئه، فكيف يمكنه الانجذاب هكذا إلى امرأة ولو من بعيد؟ هذا مستحيل.

هو يحتقر هذا النوع من النساء، إلاّ أن هذا لا يعني أنه يفضلهن محتشمات. لا.. فالمرأة التي تجذبه حقاً هي المرأة المزهوة بنفسها، التي تتوقع منه احترام حقها الأنثوي في أن تكون كما هي، امرأة من النوع الذي يتجنب، تلقائياً، أي تصرف يورطها في أي نوع من العبث والتي تدير ظهرها بحزم إلى أي رجل يريد العبث معها بتلك الطريقة. أما هذه المرأة..



ـ أنا آسف.

أجابها بجفاء، موضحاً لها أنه ليس من ذلك النوع: «لكنك تضيّعين وقتك».

وتابع بصوت رقيق مخادع: «والوقت، بالنسبة إلى امرأة مثلك، هو من ذهب، فلِمَ لا تذهبين للبحث عن رجل آخر.. أكثر تقبّلاً مني لما تعرضينه عليه؟».

دهشت ساسكيا لما سمعته منه ثم أخذت تراقبه، شاحبة الوجه، وهو يشيح بوجهه عنها ويتجه نحو الباب. لقد رفضها.. نبذها. إنه.. وابتلعت ريقها. لقد أثبت أنه مخلص لميغان، ونظر.. نظر إليها قبل أن يغادر الحانة وكأنها فتاة صغيرة، ثم مسحت ساسكيا حمرة الشفاه عن فمها وعبست وهي ترى البقعة التي خلفتها هذه الحمرة على يدها.

ـ أهلاً بك، يا جميلة. هل يمكنني أن أشتري لك شراباً؟

هزت رأسها، شاعرة بالدوار، متجاهلة تلك النظرة اللاذعة التي رمقها بها ذلك الرجل الذي تقرب إليها. حدقت إلى الباب، فلم ترَ أثراً لصديق ميغان، لقد رحل.. وهي مسرورة لذلك، إنها مسرورة بالطبع. ولِمَ لا؟ وسيسرها إخبار ميغان ولورين بأن مارك لم يخضع لإغرائها.

نظرت إلى ساعتها وهبط قلبها... وما زال أمامها أكثر من ساعة قبل أن تأتي لورين، ولا يمكنها البقاء هنا بمفردها تلفت الأنظار، فتوجهت إلى حمام السيدات بسرعة. فهناك ثمة شيء عليها القيام به.

في غرفة الملابس أقفلت أزرار سترتها الصوفية، ومسحت وجهها وشفتيها من بقايا التبرج والكحل في عينيها، مستبدلة ذلك بزينتها العادية المفضلة لديها والمؤلفة من ظل خفيف للعينين وحمرة شفاه ناعمة بلون الكرز، وربطت شعرها الطويل إلى الخلف. ثم انتظرت في استراحة السيدات حتى حان موعد الذهاب.

هذه المرة، بدت مختلفة وهي تشق طريقها بين جموع الزبائن، وكانت النظرات المنصبة عليها مختلفة تماماً.

شعرت بالإرتياح عندما رأت أن لورين في انتظارها، وعندما فتحت باب السيارة ودخلت، سألتها لورين بلهفة: «حسناً، ماذا حصل؟».

فأجابت ساسكيا وهي تهز رأسها: «لا شيء، لقد نبذني بخشونة».

ـ ماذا؟

ـ لورين، حذار..

هتفت ساسكيا محذرة عندما كادت لورين تصطدم بسيارة أخرى من تأثير ما سمعته، وكأن لورين كانت تريد إثبات نظريتها بأن مارك حبيب ميغان غير مخلص. فقالت: «لا بد أنك لم تبذلي جهدك في المحاولة».

ـ أؤكد لك أنني بذلت قصارى جهدي.

ـ هل أتى على ذكر ميغان.. هل أخبرك بأنه على علاقة بأخرى؟

فهزت ساسكيا رأسها: «لا! لكنني أؤكد لك أنه أوضح تماماً عدم اهتمامه بي. نظر إليّ..».

وسكتت وهي تبتلع ريقها ولا تريد التفكير في نوع نظرة حبيب ميغان إليها. ولسبب غريب لم تشأ حتى أن تتذكر نظرة الاحتقار التي رأتها في عينيه فجعلتها ترتجف غضباً وألماً.

ـ أين ميغان؟

ـ لقد استدعوها فجأة إلى المستشفى، لتقوم بعمل إضافي. لقد اتصلت بي لتخبرني فقلت لها إننا سنذهب إلى بيتها مباشرة ونجتمع بها هناك.



ارتسمت على شفتي ساسكيا ابتسامة باهتة. يُفترض أن تشعر بسرور أكبر بكثير مما تشعر به الآن، لكن ميغان وحدها، ستكون حقاً مسرورة عندما تعلم بأن حبيبها مارك رفض الوقوع في الإغراء، وبالتالي هو مخلص لها ويمكنها الوثوق به.

حبيبها مارك.. حبيب ميغان. وشعرت ساسكيا بمرارة في فمها وثقل في صدرها.

ما الذي حدث لها؟ هل يُعقل أنها تغار من ميغان؟ لا.. هذا غير ممكن.. لا يمكن حدوث هذا أبداً.

ـ هل أنت واثقة من أنك بذلت جهدك؟

عادت لورين وسألت ساسكيا التي أجابت: «لقد قلت كل ما علمتني أنتِ قوله، وتصرفت كما أمليت عليّ».

ـ ولم يبدر منه أي نوع من التجاوب؟

وشعرت ساسكيا بأن لورين لم تصدقها، فقالت: «آه، لقد أبدى تجاوباً، وإنما ليس من النوع...».

وسكتت، ثم عادت تقول بفتور: «لم يهتم بي، يا لورين، لا بد أنه يحب ميغان حقاً».

ـ نعم. إذا كان يفضلها عليك، لا بد أنه يحبها، إنها عزيزة وأنا أحبها جداً، ولكن لا سبيل إلى.. ألا تظنين أنه ربما خمّن ما تقومين به؟

فقاطعتها ساسكيا: «لا، لا أظن ذلك».

وكانت ساسكيا بدأت تشعر بالتعب، وبرغبة حادة مؤلمة للانفراد بنفسها. فآخر ما تريده في هذه اللحظة هو الحديث مع امرأة مثل لورين، لكنها أرادت أن تطمئن ميغان أنه بإمكانها الوثوق بمارك.

عندما وصلتا إلى بيت ميغان، رأت ساسكيا أن سيارتها مركونة

أمام البيت، وشعرت بالانقباض وهي تترجل من سيارة لورين وتسير في ممر الحديقة. ميغان ومارك.. حتى أنهما متشابهان في الإسم، مما يوحي بحياة زوجية وعائلية مريحة.. ومع ذلك، فإذا كانت قد قابلت في حياتها رجلاً لا يستحق أن يكون رب أسرة فهو مارك حبيب ميغان، إلاّ أنه محاط بجوّ من الرجولة، هالة من الطاقة والقدرة على تبديل حياة امرأة.

أجفلت ساسكيا. ما هذا الذي تفكر فيه؟ مارك هو حبيب ميغان.. صديقتها المفضلة.. الصديقة التي تدين لها بحياة وصحة جدتها.

يبدو أن ميغان رأتهما ففتحت لهما الباب قبل أن تصلا إليه، ووجهها يتهلل بالبشر والسرور، فبادرتها ساسكيا بصوت عميق: «الأمر على ما يرام يا ميغان فمارك لم..».

فقاطعتها ميغان وهي تدعوهما للدخول: «أعرف، أعرف، لقد جاء ليراني في العمل وقد شرح لي كل شيء. آه، كم كنتُ معتوهة.. لماذا لم أستطع التكهن بما كان يخطط له؟ فما لم أعرفه هو أننا سنرحل الأسبوع القادم. وكان قد أخبرهم في العمل بخطته وهي سبب كل تلك الاتصالات التي جعلتني أشك بإخلاصه، بالإضافة إلى أن موظفة وكالة السفريات هي التي كانت تتصل به على الدوام. آه، يا ساسكيا لا يمكنني تصديق ذلك، لطالما كنتُ متشوّقة للسفر إلى الجزر الكاريبية.. وهكذا حجز مارك لهذه العطلة الرائعة.. المكان الذي سنذهب إليه خاص بإجازات الأزواج. أنا آسفة لإضاعة سهرتك سدى، حاولتُ الاتصال بك ولكنك كنتِ قد خرجت، ظننتك جئت مبكرة إلى هنا. على كل حال، عندما أدركت أن مارك ليس في الحانة..

وسكتت ميغان وهي ترى تغيّر ملامح ساسكيا وابنة عمها لورين معاً، فسألتهما مترددة ومتعجبة: «ماذا حدث؟».



وكانت لورين تسأل ساسكيا: «لكنك قلتِ إنك قد تحدثت إليه».

فأصرت ساسكيا قائلة: «نعم. كان هو بالضبط كما وصفته لنا، يا ميغان..».

وسكتت عندما هزت ميغان رأسها بحزم: «لم يكن مارك هناك، كان معي في العمل، لقد وصل عند الثامنة والنصف، فمنحتنا الممرضة المسؤولة بعض الوقت لنتحدث. شعر بمدى كدري وغضبي فقرر إخباري بخطته. قال إنه كان يعلم أنه عاجز عن كتم السر أكثر من ذلك».

ثم قالت بشغف وفرح، موجّهة كلامها للورين: «وقبل أن تقولي كلمة، سيدفع مارك كل النفقات من جيبه».

انكأت ساسكيا على الجدار بضعف، وراحت تفكر: إذا لم يكن الرجل الذي صادفته هناك هو مارك، فمن يكون إذن؟ وازداد شحوب وجهها. لقد تحدثت إذن إلى رجل لا تعرفه.. وحاولت إغراء رجل غريب كلياً.. رجل هو.. وابتلعت ريقها شاعرة بالغثيان وهي تتذكر مظهرها حينذاك، وتصرفاتها، والأشياء التي قالتها، ثم طمأنت نفسها وحمدت الله لأنه كان غريباً.. فهي لن تضطر إلى رؤيته مرة أخرى، ثم سمعت ميغان تقول بقلق: «ساسكيا، لا يبدو عليك أنك بخير، ماذا حدث؟».

ـ لا شيء.

لكن لورين تكهنت بما تفكر فيه ساسكيا فسألتها بحدة: «حسناً، إذا لم يكن الرجل الذي تحدثت إليه هناك هو مارك، فمن يكون؟».

ردت عليها ساسكيا بصوت أجوف:

ـ نعم، من تراه يكون؟

* * *

## ٣ ـ النار أو الدمار؟

ذعرت ساسكيا عندما سمعت ساعة المدينة تدق الثامنة صباحاً، وهي تهرع إلى العمل، لأنها قررت الذهاب إلى العمل باكراً هذا اليوم، لكنها تأخرت في النوم، لسوء الحظ.. وكان هذا بسبب أحداث الليلة الماضية والقلق الذي سرق النوم من عينيها.

إن عملها يبدأ عادة عند التاسعة صباحاً. ولكن الأمور ليست على ما يرام في هذه الآونة، خصوصاً عندما تكون وظيفة المرء في خطر.

ولقد حذّر رئيس القسم الذي تعمل فيه ساسكيا أنّ هناك اتجاهاً لصرف الموظفين وتخفيض الرواتب. ونظراً لكونها أحدث الموظفين في القسم، فراتبها معرّض للتخفيض، وربما صرفت من العمل. مستحيل عليها عندئذٍ إيجاد وظيفة أخرى في هيلفورد، وإذا ذهبت للعمل في لندن، فستبقى جدتها وحدها. وعلى الرغم من أن سن الخامسة والستين لا تعتبر سناً متقدمة تماماً بالنسبة إلى جدتها المحاطة بعدد كبير من الأصدقاء، لكن المرض جعل ساسكيا تشعر بالخوف عليها. فهي مدينة لها بالكثير، ليس لتربيتها فقط، وإنما للحب الكبير الذي منحتها إيّاه في غياب والديها.

وأسرعت ساسكيا داخل مكتب العمل، وسألت إيما موظفة الاستقبال، بلهفة: «أتراه وصل؟».



لم يكن من حاجة لذكر اسم من تعنيه، وابتسمت لها إيما بشيء من الاستعلاء: «لقد وصل أمس، في الواقع، وهو الآن في الطابق الأعلى يجري المقابلات مع الجميع».

قالت ذلك بفخر ما لبث أن استحال إلى إعجاب أنثوي وهي تتنهد قائلة: «انتظري فقط حتى تريه، إنه رائع.. رائع للغاية».

وارتسمت على شفتي ساسكيا ابتسامة شاحبة.

ثم تابعت موظفة الاستقبال إيما كلامها قائلة: «لكنه مثالي، انتبهي، ثم هو مرتبط عاطفياً وسيخطب قريباً. فقد تحدثت إلى موظفة الإستقبال في مكتبهم الرئيسي فأخبرتني بأن جده يريد تزويجه بابنة عم أبيه فهي ثرية جداً و..».

فقاطعتها ساسكيا بحزم: «آسفة يا إيما، ولكن يجب أن أذهب».

فشائعات المكتب، مثل سياساته، لا تحب ساسكيا أن تتورط فيها، أضف أنه.. إذا كان رئيسهم الجديد قد ابتدأ بإجراء المقابلات، فهي لا تريد أن تكتسب نقطة سوداء بسبب غيابها.

كان مكتبها في الطابق الثالث حيث تعمل مع خمسة موظفين آخرين، وكان لرئيسهم مكتبه الخاص الزجاجي الجدران، لكنه كان حالياً خالياً.

وعندما أخذت تتساءل عما عليها فعله، انفتح الباب الخارجي ودخل رئيسها يتبعه بقية زملائها. فحياها قائلاً: «آه، يا ساسكيا، ها أنت هنا أخيراً».

ـ نعم، أردت القدوم باكراً..

فقاطعها غوردون جارمان رئيسها وهو يهز رأسه، قائلاً بحدة: «لا مجال للشرح الآن، الأفضل أن تصعدي إلى جناح المدير التنفيذي. سكرتيرة السيد لاتيمر في انتظارك، يبدو أنه يريد إجراء مقابلة مع كل

شخص بمفرده ومع زملائه في القسم، ولم يكن مسروراً تماماً لغيابك. . ».

وقبل أن تنبس ساسكيا ببنت شفة، استدار ودخل مكتبه، تاركاً إيّاها تتجه نحو المصعد. لم يكن من عادة غوردون أن يتكلم بهذه الحدة، فشعرت ساسكيا بتوترها يزداد وهي تفكر في الموقف الذي لا بد أن أندريس لاتيمر قد اتخذه بشأن الموظفين الجدد وهذا ما جعل رئيسها الهادىء بطبعه، بهذه الحدة.

كان جناح المدير التنفيذي منطقة غير مألوفة لساسكيا، فالمناسبة الوحيدة التي دخلته فيها، هي حين أجرت مقابلتها الأولى، ثم قصدته حديثاً مع الموظفين عندما تلقوا خبر نجاح عرض ديمتريوس لاستلام الإدارة.

خرجت ساسكيا من المصعد بشيء من التردد، ثم سارت نحو الباب الذي يعلوه لوحة كتب عليها (المساعدة الشخصية للمدير التنفيذي) «مادج فيلدينغ». استقالت سكرتيرة المالك السابق عندما أعلن عن نجاح العرض، وعندما رأت ساسكيا المرأة الأنيقة ذات الشعر الأسود الجالسة خلف مكتب مادج، افترضت أن المالك الجديد لا بد أحضر معه مساعدته الخاصة من مكتب ديميتريوس الرئيسي.

أعطتها ساسكيا اسمها متوترة، وأوضحت أنها تعمل تحت إمرة غوردون جارمان، لكن المساعدة الشخصية أزاحت هذا الإيضاح جانباً وهي تنظر في قائمة أمامها، ثم قالت ببرودة دون أن ترفع رأسها عنها: «ساسكيا؟ نعم. لقد تأخرت. السيد لاتيمر لا يحب. . أنا لستُ واثقة في الواقع. . . ».

وسكتت ثم نظرت إلى ساسكيا مقطبة الجبين ثم أضافت باستنكار: «قد لا يكون لديه وقت لإجراء المقابلة معك الآن».



ثم رفعت سماعة الهاتف وتحدثت بلهجة مختلفة تماماً عن الصوت الذي كانت تحدث فيه ساسكيا.

ـ الآنسة رودجرز هنا الآن، يا أندريس، هل ما زلت تريد رؤيتها؟

ثم قالت لساسكيا: «يمكنك الدخول، الباب هناك. . ».

أرغمت ساسكيا نفسها على الهدوء وهي تتوجه نحو الباب الذي أشارت المساعدة إليه، ودقت بهدوء على الباب ثم أدارت المقبض، ودخلت وقد خالجها شعور وكأنها طفلة مشاغبة.

عندما دخلت المكتب، بهرت أشعة الشمس المتألقة عينيها، فكل ما استطاعت رؤيته هو معالم ضبابية لرجل واقف أمام النافذة وظهره إليها، ووهج الشمس يجعل من المستحيل عليها رؤية أكثر من ذلك.

لكن أندريس استطاع رؤية ساسكيا، ولم يدهشه أنها وصلت إلى العمل متأخرة عن زملائها، فهو يعرف كيف أمضت سهرتها. أما ما أدهشه فعلاً فهو التقدير الصادق الذي قدّمه رئيسها المباشر وزملاؤها معاً. فساسكيا هي أول من يقوم بالعمل الإضافي، وأول من يمدّ يد العون لمن يحتاجها من زملائها.

ـ نعم، ربما هذا غير عادي بالنسبة إلى متخرجة جديدة.

هذا ما قاله غوردن جارمان عندما استفسر أندريس منه عن تقديره لساسكيا. وأضاف: «لكنها ربيبة جدتها، وربما كانت قيمها وشعورها بالواجب تجاه الآخرين مستمدة من الجيل السابق، وكما ترى من تقريري عنها، عملها ممتاز وكذلك مؤهلاتها».

فقال أندريس في نفسه: وهي شابة جذابة إلى حد مذهل وتعرف كيف تستغل «مزاياها» لمصلحتها.

تابع غوردون جارمان حديثه بحماس عن تفاني ساسكيا في عملها، ولطفها وشهامتها مع زملائها وقدرتها على دمج نفسها في أي

عمل جماعي وإتقان أي عمل يسلّم إليها، وعن شعبيتها عند الموظفين الآخرين.

بعد أن درس أندريس التقارير المتابعة التي كان قائد مجموعة ساسكيا وغوردون نفسه قد وضعاها عنها، والصورة في ملفّها، أصبح أندريس مرغماً على التسليم بأنه لو لم ير بنفسه تصرفات ساسكيا الليلة الماضية لكان تقبّل التقرير المتوهج بالحماسة، مؤمناً بظواهر الأمور.

كان من الواضح تماماً أنها امرأة تعرف كيف تعامل الرجال، رغم أنها ارتكبت معه خطأ فادحاً في الحكم عليه.

أما هذا الصباح، فقد تغيّرت جذرياً حيث عادت شابة رقيقة وموظفة أنيقة الملابس وشعرها مشدود إلى الخلف بأناقة جذابة، ووجهها خالٍ من أي تبرج ما عدا الخفيف منه. وأخذ أندريس يقطب جبينه عندما شعر بجسده، على غير عادة، وبإلحاح، يذكره بسحر جسد ساسكيا الذي اقترب منه كثيراً في الحانة، أما الآن فهذا الجسد محتشم بطقم العمل الكحلي الذي ترتديه.

أليس لديه ما يكفيه من المشاكل؟ فقد تلقى الليلة الماضية، بعد عودته من الحانة، اتصالاً من أمه تحذره من أن جده غاضب جداً، وتقول له: «لقد تعشى جدك أمس مع بعض أصدقائه الحميمين، ويبدو أنهم جميعاً أخذوا يتباهون بمعاملات نجحوا فيها مؤخراً وأنت تعرفهم».

ثم تنهدت وتابعت: «وقال أحدهم لجدك إن لديه أملاً كبيراً بأن يحصل على يد أثينا لابنه».

فأجاب أندريس أمه: «أتمنى له حظاً سعيداً. وأرجو له التوفيق، وهذا، على الأقل، سيزيح حملاً ثقيلاً عن كاهلي».

فقالت أمه توافقه بشيء من الشك: «حسناً، ولكن يبدو أن



جدك أصبح أكثر تصميماً على عقد زواجك بأثينا. وطبعاً بعد أن تقاعد جزئياً أصبح لديه مزيد من الوقت لوضع الخطط و.. ومن المؤسف أنه ليس لديك فتاة الآن في حياتك».

ثم تنهدت مرة أخرى، وأضافت: «أنا أعتقد تماماً أن الأمل في أن يصبح له أحفاد سيفرحه إلى حد ينسيه بسرعة رغبته في تزويجك من أثينا».

فتاة في حياته؟ هل السخط حقاً والصراع الذي كان أمامه مع ممتلكاتهم الجديدة، قد دفعه إلى القول لأمه: «وما الذي جعلك تظنين أنه ليس لديّ فتاة في حياتي؟».

وساد صمت مفاجيء، ثم عادت أمه تسأله بلهفة: «أتعني أن لديك امرأة في حياتك، يا أندريس! من هي؟ ومتى ستتعرف إليها؟ وكيف تعرفت بها؟ آه يا حبيبي ما أروع هذا، ستملأ البهجة قلب جدك! «أوليمبيا»!

وسمعها تخبر أخته.

حاول التخفيف من حماسة أمه وأخته وتنبيههما أنه كان يتحدث فقط بمعنى (إذا). ولكن أي منهما لم تكن مستعدة لتصغي إليه، وبعد اتصال أمه البارحة، إذا بجده يتصل به هذا الصباح ومنذ الخامسة فجراً ليسأله متى سيقابل خطيبة حفيده.

خطيبته.. ما الذي جعل أمه وأخته تفسران انزعاجه وضيقه بخطيبة حقيقية؟ هذا ما لم يستطع أندريس فهمه. لكنه أدرك أنه إذا لم يظهر لهم هذه الخطيبة الوهمية، فسيقع في مشكلة كبرى، خاصة عندما قال له جده (ستحضرها معك طبعاً إلى الجزيرة)، وكلمات الجد هي أوامر وليس سؤالاً.

ما الذي سيفعله الآن؟ فأمامه ثمانية أيام عليه فيها إيجاد (خطيبة)

يتفق معها على أن يمثلا دور الخطيبين وعليها أن تكون ممثلة ماهرة لكي تخدع ليس جده فقط بل أمه وأخته أيضاً.

استدار من مكانه أمام النافذة المغمورة بأشعة الشمس ليواجه ساسكيا، فرأته عندها بوضوح. ولم تجد فرصة تخفي بها صدمتها، أو شهقة الذعر الخفيفة التي أفلتت من بين شفتيها المصبوغتين بحشمة وقد شحب وجهها ثم عاد فتوهج بلون محرق.

ـ أنتَ!

قالت ذلك بصوت مختنق وهي تتراجع نحو الباب بحركة غريزية، وقد اكتسحت ذهنها ذكريات الليلة الماضية وتأكدت من خسرانها لوظيفتها.

إنها ممثلة ممتازة بكل تأكيد. أقرّ أندريس بذلك وهو يرى ردة فعلها.. وأشياء أخرى. فتصرفاتها هذا الصباح مختلفة تماماً عن البارحة وهي تقدم نفسها إليه، ولكن لا شك أن الذعر قد ملأها وهي تكتشف أنه ذلك الرجل الذي عرضت عليه نفسها بشكل ينافي الذوق، حتى نظرة الفزع هذه التي أظلمت عينيها والطريقة التي أخذت بها شفتها السفلى ترتجف رغم محاولاتها السيطرة عليها.. آه، نعم... إنها ممثلة درجة أولى.. ممثلة درجة أولى!

وفجأة، لاح لأندريس شعاع من النور في نهاية النفق المظلم، نفق مشكلته الحالية. آه، نعم، إنه حقاً شعاع من نور.

فبادرها أندريس بالقول: «هكذا إذن، يا آنسة رودجرز».

لقد بدأ أندريس يمزق ثقة ساسكيا بنفسها، وهي الممزقة فعلاً، وذلك بكل رقة وبكياسة الجّراح الخبير وهو يقطع الجلد واللحم والعظم طبقة بعد طبقة.

ـ لقد قرأت التقرير الذي كتبه عنك غوردون جارمان وعليّ



تهنئتك. يبدو أنك أقنعته بأنك في القمة من السموّ، وهذا إنجاز باهر بالنسبة إلى موظفة جديدة وصغيرة. خصوصاً وهي تتبنى مثل ذلك الموقف، هل نقول.. الموقف المطاط بالنسبة إلى التقيّد بالنظام الرسمي والمحافظة على أوقات الدوام.. فتترك العمل قبل زملائها في المساء، وتصل في الصباح بعدهم؟

ـ أترك العمل باكراً؟

وحدقت ساسكيا إليه محاولة تمالك نفسها، كيف علم بذلك؟

وكأنه قرأ أفكارها، فقال لها بنعومة: «كنت في الردهة حين غادرت مكتبك، قبل الدوام بوقت غير قصير».

فقالت متذمرة: «لكن ذلك كان..».

لكنه لم يسمح لها بأن تكمل كلامها فهز رأسه قائلاً ببرودة: «لا أريد أعذاراً، من فضلك. قد تنفع مع غوردون جارمان لكنها، لسوء حظك، لن تنفع معي. وبعد، لقد رأيتُ كيف تتصرفين خارج العمل. إلا إذا...».

وعبس، وتصلبت شفتاه وهو يتفرس فيها باحتقار، مضيفاً: «إلا إذا كان هذا هو السبب، طبعاً، الذي جعله يعطيك مثل ذلك التقرير الممتاز غير العادي..».

هتفت ساسكيا على الفور ناكرة: «لا، لا! أنا لا أفعل.. ذلك أبداً.. كانت الليلة الماضية غلطة. أنا..».

ـ نعم، كانت غلطة، بالنسبة إليك على الأقل. أنا أعلم أن راتبك ضئيل نسبياً، لكن جدي سيكون تعيساً للغاية عندما يعلم أن إحدى موظفاتنا تضطر إلى زيادة دخلها بطريقة تنعكس سلباً على سمعة شركتنا.

وتابع بلطف مصطنع وابتسامة خبيثة: «كم أنتِ محظوظة لأنك لم

تكوني تمارسين. . حرفتك في. . أحد فنادقنا و. . . ».

فقاطعته ثائرة: «كيف تجرؤ؟».

وتوهج وجهها احمراراً والتهبت عيناها بالكبرياء الجريحة.

فسألها مستهزئاً: «كيف أجرؤ أنا؟ المفروض أن أسألك أنا كيف تجرؤين؟».

قال لها ذلك بحدة وقد حل مكان الجوّ الأنيس الذي كان يحيط به نظرة قاسية تنضح غضباً واحتقاراً وعاد يقول متجهماً: «عدا ما يتضمنه عملك ذاك من عدم الفضيلة، ألم يخطر ببالك قط الخطر الجسدي الذي يهددك من ورائه؟ ويهدد النساء أمثالك. . ».

وسكت، ثم غيّر طريقته في الكلام متابعاً بلهجة أكثر ليناً: «فهمتُ من رئيسك أنك حريصة على البقاء موظفة عندنا».

ـ نعم، نعم، هذا صحيح.

اعترفت بذلك بصوت أجش إذ لم يكن هناك فائدة من الإنكار. لقد سبق وتحدثت مع غوردون عن مخاوفها من أن تكون في عداد الموظفين الفائضين، ويبدو أنه نقل هذا إلى أندريس. وإذا أنكرت ذلك الآن سيظن أنها كاذبة، بالإضافة إلى كل شيء آخر!

ثم قالت ساسكيا بلهفة ورجاء، وقد تحول كبرياؤها إلى ذعر وخوف: «إسمع أرجوك، يمكنني شرح ما حصل الليلة الماضية. أنا أعرف كيف كان مظهري البارحة، ولكنه لم يكن. . أنا لم أكن. . ».

فارتبكت وصمتت وهي ترى ملامح وجه أندريس تدل على أنه غير مستعد للاستماع إليها، عدا أنه لن يصدقها. وهي لا تلومه كما أنها لا تستطيع إقناعه بعفتّها، إلا إذا جرّت لورين وميغان إلى مكتبه لتشهدا معها، وكرامتها تأبى عليها مثل هذا العمل، هذا إلى أن ميغان غير قادرة على التفكير في أي شيء أو أي شخص حالياً غير مارك وإجازتهما



المقبلة في الجزر الكاريبية. أما بالنسبة إلى لورين. . حسناً، بإمكان ساسكيا التكهن بمقدار المتعة التي ستشعر بها لورين إزاء الوضع الذي وجدت ساسكيا نفسها فيه الآن. وعندما سكتت، قال لها بلطف: «هذا أفضل. فأنا أحتقر المرأة الكاذبة حتى أكثر مما أحتقر تلك التي. . ».

وجاء دوره ليسكت، لكنها فهمت ما يفكر فيه. وازداد احمرار وجهها مما جعلها ترتبك أكثر وتشعر بالقلق حين قال: «لدي أمر أريد عرضه عليك».

وصدر عنها صوت مختنق يسأل بحذر: «وأي نوع من العروض؟».

جمع أصابعه بإشارة مهدئة وهو ينظر إليها كما ينظر الوحش إلى فريسته التي يتلهى بتعذيبها. لكن خفقان قلبها العنيف نبهها إلى أنها ربما تعرف مسبقاً الجواب. . تماماً كما عرفت لماذا تملكها هذا المزيج المذهل من الإثارة وتغير المشاعر.

فقال لها بلطف: «آه، ليس من النوع الذي ربما أنت معتادة عليه. . . قرأت أن بعض العاملات الشابات طردن من الخدمة بسبب قيامهن بدور بنات الهوى. . ».

فقالت محتجة: «لم أكن أقوم بعمل كهذا».

لكنه أسكتها قائلاً بحدة: «هل نسيت أنني كنتُ موجوداً؟ لو علم جدي بسلوكك ذاك، لطلب مني طردك على الفور».

قد يكون جده تخلى عن معظم سلطته لحفيده أندريس، لكن أندريس رأى من ملامح ساسكيا أنها ما زالت تصدقه وهي تقول مبتلعة كبريائها: «أنتَ لستَ مضطراً لأن تخبره. . أرجوك. . ».

ـ نعم، لستُ مضطراً لذلك، ولكن ما أفعله يتوقف على استجابتك لما أعرضه عليك.

ـ هذا ابتزاز.

فأجاب بنعومة مصطنعة: «هذه مهنة قديمة بقدم المهنة التي كنتِ تزاولينها الليلة الماضية».

بدأ الذعر يتملك ساسكيا. على الرغم من التفاوت بينهما، ليس هناك ما يريده منها، على الأرجح، سوى أمر واحد. لكن هذا غير محتمل، وإن منحته في الليلة الماضية، كل الأسباب التي تجعله يفترض.. أو يعتقد.. أنها من بنات الهوى. لكنها فعلت ذلك ظناً منها أنه مارك، ويا ليته فقط يسمح لها بشرح الأمر على حقيقته.

وازداد خوفها مما جعلها تندفع قائلة بعداء: «يدهشني أن يلجأ رجل مثلك إلى ابتزاز امرأة لكي يشبع رغباته. وليس هناك ما يجعلني..».

فقاطعها وهو يلقي برأسه إلى الخلف مقهقهاً: «أشبع رغباتي؟».

فذهلت ساسكيا ولاذت بالصمت، ثم كرر هادئاً: «أشبع رغباتي.. ومن يشبعها، أنتِ؟ لا ليس هذا ما أريده منك».

فسألته وهي ترتجف: «ماذا تريد مني إذن؟».

ـ ما أريده منك هو وقتك وموافقتكِ على تمثيل دور خطيبتي.

ـ ماذا؟

وحملقت فيه مندهشة: «أنتَ مجنون».

فقال بحزم: «لا. لستُ مجنوناً، لكنني مصمم على عدم الزواج من المرأة التي يريد جدي تزويجي إياها، وكما ذكرتني أمي، مشكورة، أن الطريقة الأفضل لتجنب ذلك هي إقناعه بأنني أحب فتاة أخرى. إنها الطريقة الوحيدة التي يمكنني بها إيقاف حملته السخيفة تلك».

ـ أتريدني أن.. أتظاهر.. بأنني.. خطيبتك؟

ألقت عليه هذا السؤال كلمة كلمة بحذر، وكأنها غير واثقة مما سمعت، وعندما رأت الثبات في عينيه، قالت مستنكرة: «لا.. لا سبيل



إلى ذلك.. لا سبيل على الإطلاق».

فسألها بلطف بالغ: «لا؟ إذن، لن يكون أمامي، مع الأسف، سوى أمرٍ واحد وهو أن ثمة احتمال كبير جداً، بصرفك من العمل مع من سنصرفهم، أرجو أن تكوني فهمت ما أعنيه».

فصاحت: «لا! لا يمكنك القيام بذلك..».

ثم سكتت وهي ترى السخرية في عينيه.

أحست أنها تضيع وقتها سدى، ليست هناك طريقة تجعله حتى أن يصغي إليها، فكيف بأن يصدقها، لم يشأ تصديقها لأن هذا لا يتلاءم مع خطته.. وأدركت أنها إذا رفضت تمثيل ما يريد، فهو قادر تماماً على تنفيذ تهديده لها. وابتلعت ساسكيا ريقها، لقد وقعت في الشرك تماماً وما من وسيلة للهرب.

وسألها: «حسناً؟ لم تعطيني جوابك. هل توافقين على عرضي هذا، أم..؟».

بدت السخرية في صوته واضحة جليّة.

ابتلعت ساسكيا مرارة الهزيمة، وحاولت أن ترفع رأسها وهي تقول له بتعاسة: «أنا موافقة».

ـ هذا ممتاز. وحفظاً للشكليات، أقترح اختراع قصة عن لقاء سري سابق حدث مصادفة بيننا.. ربما عندما زرتُ «هلفورد» قبل استلامنا الممتلكات الجديدة، ولأجل مفاوضات الإستلام فقد أبقينا أمر علاقتنا.. حبنا سراً، ولكن الآن.. لم يعد من حاجة للسرية، وإثباتاً لذلك، وللإحتفال بحريتنا اليوم، سأدعوك إلى الغداء.

وقطب جبينه لحظة ثم تابع: «سنسافر إلى جزيرة «إيجين» في نهاية الأسبوع القادم، وهناك أشياء علينا معرفتها عن بعضنا البعض!».

فشهقت: «نسافر إلى أين؟ لا.. لا يمكنني ذلك. جدتي..».

كان أندريس قد سمع من غوردون جارمان أنها تعيش مع جدتها، فرفع حاجبه متسائلاً بنعومة: «أنتِ مخطوبة لي الآن، يا حبيبتي، وحتماً أنا الآن أهم لديك من جدتك، لكنني واثق من أنها ستوافق على سبب إبقاء حبنا سراً. إذا شئتِ، أنا مستعد تماماً لمرافقتك عندما تشرحين لها.. كل شيء..».

أجابت بذعر وحزم: «لا حاجة لذلك على كل حال، فجدتي حالياً في مدينة «باث»، مع أختها، وستبقى هناك للأسابيع القليلة المقبلة. لا يمكنك فعل هذا. ثم إن جدك لا بد أن يتكهّن بأننا.. لسنا.. و...».

ـ ولكن علينا ألاّ نجعله يتكهن بأيّ من هذه الأشياء، فأنتِ ممثلة ممتازة كما رأيتُ بنفسي. وأنا واثق أنه بإمكانك إقناعه بأننا خطيبان، وأننا نحب بعضنا البعض.. وإذا أنتِ شعرتِ بحاجة إلى بعض العون لكي يقتنع...

وصمت بعد أن التهبت عيناه، فتراجعت ساسكيا على الفور خطوة إلى الخلف، وقد احمرّ وجهها ارتباكاً وهي ترى الطريقة التي كان ينظر بها إليها. ثم قال برقة: «هذا حسن جداً، ولكن ربما ليس من الحكمة المبالغة في إظهار الخجل العذري، فجدي ليس أحمقاً، وأشك في أنه يتوقع من رجل في مثل سني الوقوع في الغرام بعنف مع امرأة لا تماثله خبرة. فأنا، نصف يوناني، والعواطف الخام هي ميزة هامة في شخصية الرجل اليوناني ونفسيته».

أرادت ساسكيا أن تستدير هاربة. لقد ساء الوضع في دقيقة، وتساءلت، باستسلام قدري، عما سيفعله أندريس إذا هو علم بأنها ليست (خبيرة مثله) حسب وصفه، وأن كل خبرتها لا تتعدى عدة قبلات طاهرة ومعانقات مرتبكة. كان عليها شكر والديها لاحتراسها هذا في مراهقتها لأن سلوكهما الطائش جعلها تخاف من أن تكرر حماقتهما.



ولكن، طبعاً، ما من طريقة تجعل أندريس يعلم كل هذا! وقال أندريس باقتضاب وهو ينظر إلى ساعته: «الساعة العاشرة تقريباً، أرى أن تعودي إلى مكتبك، وعند الواحدة سأنزل إليك وآخذك إلى الغداء. كلما أسرعنا في إشاعة أمر علاقتنا كان ذلك أفضل».

كان يتحدث ويتقدم نحوها، وتملك الذعر ساسكيا على الفور، وشهقت بصوت عال عندما انفتح الباب ودخلت مساعدته الشخصية في اللحظة نفسها التي كان أندريس يمسك فيها معصمها الهش بأصابعه القوية.

إن بشرته سمراء ولكن ليس إلى الحد الذي يجعل الناظر إليه يتكهن في الحال بدمه اليوناني. وكانت عيناه رماديتين، كما رأتهما الآن، وليس زرقاوين كما ظنتهما الليلة الماضية وشعره أسود كثيف مستقيم، وكان هناك إشاعات عن نبل في أصله يتمثل في وجنتيه العاليتين وذقنه الكلاسيكية الشكل وأنفه المستقيم. لا بد أنهم متحدرون من أسرة أرستقراطية نبيلة في اليونان. وانتبهت أنه يريد دوماً السيطرة على من حوله، ودمغ كل ما يقوم به بسلطته وكذلك كل من يتعرف إليه.

ـ آه، يا أندريس.

هتفت مساعدته بذلك وهي تنظر باضطراب إلى الطريقة التي كان رئيسها يجذب بها ساسكيا ويقربها إليه.

ـ أنا آسفة لمقاطعتي، ولكن جدك اتصل مرتين.

فأجاب بنعومة: «سأتصل بجدي لاحقاً، كما أنني لا أريد مقاطعة ولا مواعيد بين الساعة الواحدة حتى الثانية والنصف اليوم، فأنا سآخذ خطيبتي إلى الغداء».

قال هذا والتفت إلى ساسكيا يرمقها بنظرة تذوب رقة وعاطفة. بدا فعلاً كعاشق ولهان لا يكاد يملك السيطرة على رغبته بها لحظة واحدة

حتى أوشكت هي نفسها أن تصدقه. ولم تستطع إلا مبادلته النظر وكأنها تسمرت مغناطيسياً. لو نظر إليها بهذا الشكل الليلة الماضية.. كفى.. حذرت نفسها على الفور وقد هزتها هذه الفكرة.

ولكن إذا كان تصرفه قد صدم ساسكيا، فقد صدم مساعدته أكثر. أدركت ساسكيا ذلك عندما صدر عن المرأة صوت مختنق ثم هزت رأسها عندما سألها أندريس بلطف عما إذا كان حدث شيء.

ـ لا.. كنت فقط.. هكذا.. لا.. لا شيء على الإطلاق.

ـ هذا حسن. آه، هناك شيء آخر. أريدك أن تحجزي مقعداً آخر بجانبي على الطائرة المتوجهة إلى أثينا الأسبوع القادم.. لأجل ساسكيا..

وأشاح بوجهه عن مساعدته وقال لساسكيا بصوت أجش: «أنا متشوق لأقدمك إلى أسرتي، خصوصاً إلى جدي. ولكن أولاً..».

وقبل أن تتكهن ساسكيا بما ينويه، رفع يدها إلى فمه يقبّل راحتها. وعندما شعرت بدفء أنفاسه على جلدها أخذت ترتجف، وتتسارع أنفاسها. وشعرت بالدوار، بينما تملكها مزيج من البهجة والإثارة والصدمة، وإحساس بأنها، بشكل ما، قد خرجت من ذاتها وأصبحت شخصاً آخر.. دخلت حياة أخرى.. حياة أكثر إثارة من حياتها بكثير.. حياة يمكن أن تؤدي بها إلى الخطر..

وبينما كان الدوار يتملكها، سمعت أندريس يقول بصوت أجش: «أولاً، يا حبيبتي، يجب أن نبحث عن شيء جميل يزين إصبعك الخالي هذا. لن يقبل جدي أن يراك دون خاتم يفصح عن نيتي».

سمعت ساسكيا بوضوح صوت شهقة المساعدة المصدومة، ومرة أخرى لم تكن صدمة تلك المرأة أقوى من صدمتها هي. لقد ادّعى أندريس أن ساسكيا ممثلة جيدة، لكنه، هو نفسه، لم تكن تنقصه



الكفاءة في هذا الأمر.

عندما انسحبت المساعدة من المكتب بسرعة، مغلقة الباب خلفها، قالت ساسكيا بصوت مرتجف:

ـ ألا تعلم أنه بحلول وقت الغداء، سيكون الخبر قد انتشر في جميع أنحاء المكتب؟

فقال ناظراً إليها بشوق: «في جميع أنحاء المكتب؟ آه يا عزيزتي، سأكون مندهشاً للغاية وخائب الأمل أيضاً إذا لم يكن الخبر قد سافر إلى أبعد من ذلك بكثير».

وعندما نظرت إليه مستفسرة، قال شارحاً باختصار: «عندما يحين وقت الغداء، أتوقع تماماً أن يكون الخبر قد وصل إلى أثينا على الأقل».

ـ إلى جدك.

فأجاب بهدوء: «وغيره أيضاً» دون أن يكشف لها عمن يكون ذلك (الغير).

وفجأة، تبادر إلى ذهنها كمّ هائل من الأسئلة أرادت توجيهها إليه.. عن أسرته بما فيها جده، والجزيرة التي ينوي أخذها إليها، وعن المرأة التي يريده جده أن يتزوجها... كانت لديها فكرة مبهمة عن أن اليونانيين يهتمون جداً بحماية مصالح الأسرة، وتبعاً لما تقوله إيما، فإن ابنة أخ جده فاحشة الثراء كأندريس.

وبشكل ما، دون أن تعرف تماماً كيف حدث ذلك، اكتشفت أن أندريس قد ترك يدها، وأنها تخرج من الباب الذي فتحه لها، لتعود إلى مكتبها.

* * *

ـ أمستعدة أنت يا ساسكيا؟

وشعرت ساسكيا بالارتباك يكسو ملامحها عندما اقترب أندريس من مكتبها. كان زملاؤها غارقين في العمل تجنباً للنظر إليهما بشكل واضح، لكن ساسكيا أدركت جيداً أنهما محط انتباه الجميع، وكيف لا يكونان كذلك؟

ثم توجه أندريس بالكلام لرئيسها: «غوردون، آسف لأن ساسكيا ستتأخر في العودة من الغداء».

ثم سألها أندريس برقة، بعد أن رأى علامات الدهشة والذهول على وجه غوردون وبقية الموظفين: «ألم تطلعيهم على الخبر بعد، يا حبيبتي؟».

ـ آه.. لا.

ولم تستطع ساسكيا النظر إليه مباشرة.

وسمعت رئيسها يقول بدهشة وعدم التصديق: «ساسكيا.. لا أفهم..».

واعترفت ساسكيا لنفسها بكآبة أنه لن يفهم وإن حاولت الشرح، وبدا لها أنه ليس عدلاً أبداً خداع هذا الرجل الطيب، ولكن أي خيار غير هذا أمامها؟

وكان أندريس يقول: «لا تلم ساسكيا، لأن المخطىء هو أنا مع الأسف. لقد ألححتُ عليها بأن تبقى علاقتنا سرية حتى يتم إعلان انتهاء استلامنا الممتلكات الجديدة. لم أشأ أن تُتهم ساسكيا بأنها موزعة الولاء.. كما يجب إخبارك يا غوردون بأنها أصرت على رفض أي نوع من الحديث عن العمل الجديد».

ثم قال لساسكيا: «وبمناسبة الحديث عن العمل، أنا أيضاً لا أريد ذكر العمل حين نكون معاً».

ورمقها بنظرة عاطفية جعلت وجهها يزداد توهجاً وتسببت في أكثر



من شهقة حسد من زميلاتها.

وعندما ابتعدا عن مرمى السمع، سألته باستياء: «لماذا فعلت ذلك؟».

ـ فعلت ماذا؟

ـ أنتَ تعلم تماماً ما أعنيه، لماذا لم يكن لقاؤنا في مكان آخر؟

ـ وسراً؟

بدا عليه السأم ونظر إليها مقطباً جبينه. كان أطول منها بكثير، فآلمها عنقها لكثرة ما مدّته لتنظر إليه. وتمنت لو أنه لا يسير قريباً منها إلى هذا الحد، لأن ذلك يشعرها بعدم الإرتياح وبشيء من التوتر. إلاّ أنه، بشكل ما، جعلها تشعر بأنوثتها بشكل لم تعرفه من قبل.

ـ ألم أخبرك من قبل أن كل قصدنا من هذا المشروع هو إظهار علاقتنا إلى العلن؟

ثم ابتسم متجهماً ومضيفاً: «لقد حجزت مائدة في تلك الحانة للغداء، لقد أكلت هناك الليلة الماضية ووجدت الطعام جيداً للغاية.. رغم أن ما حدث فيما بعد كان.. أقل جودة».

وفجأة، شعرت ساسكيا أنها لم تعد تقوى على الاحتمال.

ـ إسمع، ما زلت أحاول إخبارك أن الليلة الماضية كانت غلطة، أنا..

ـ أنا أوافقك تماماً على أنها كانت غلطة.. غلطتك.. وعلى ذكر هذا الموضوع، دعيني أنبهك، يا ساسكيا، إذا أنتِ فعلت شيئاً كهذا أثناء مدة خطوبتنا.. إذا أنت نظرت إلى رجل آخر..

وسكت وهو يراها تحملق فيه بذهول. ثم قال: «أنا نصف يوناني، يا عزيزتي، وبالنسبة إلى نسائي فأنا يوناني أكثر مني إنكليزياً.. أكثر بكثير..».

ـ أنا لست من نسائك.

وكان هذا فقط ما تمكنت من قوله، فأجاب ساخراً: «طبعاً لا، لأنك لكل رجل يدفع الثمن، ألست كذلك في الحقيقة؟ ولكن..».

وسكت مرة أخرى عندما سمع صوتها باحتجاج حاد وقد شحب وجهها ثم عاد فتوهج احمراراً بعد فقدانها السيطرة على مشاعرها.

ـ ليس لديك الحق في قول مثل هذا الكلام لي.

ـ بل لديّ كل الحق لكوني خطيبك.

قال هذا معنفاً، وقبل أن تسكته مد يده ليمسح بإصبعه دموع الغضب والإذلال عن أهدابها السفلى، وهو يقول ساخراً: «دموع؟ أنتِ يا عزيزتي أمهر في التمثيل مما كنت أظن!».

كانا قد وصلا إلى الحانة فاضطرت ساسكيا إلى السيطرة على أعصابها عندما فتح الباب وترافقا إلى الداخل.

قالت ساسكيا بعد أن جلسا إلى طاولة المائدة: «لا أريد أن آكل شيئاً، أنا لست جائعة».

فأجابها باقتضاب: «مستاءة؟ لا يمكنني إرغامك على الأكل، لكنني لن أحرم نفسي من هذا الطعام الطيّب».

وعندما تناول قائمة الطعام، أضاف ببرودة: «هناك أشياء علينا التحدث عنها، أنا أعرف أكثر أحوالك الشخصية من ملفك، ولكن إذا كان علينا إقناع أسرتي، وخصوصاً جدي، بأننا عاشقان، فهناك أشياء أخرى عليّ معرفتها عنك.. وأشياء عليك معرفتها عني».

عاشقان.. واستطاعت ساسكيا بجهد إمساك نفسها عن الارتجاف بشكل واضح، فإذا كان عليها الاستجابة لابتزازه، عليها إذن تعلّم القيام باللعبة حسب شروطه وإلا فسيدمرها كلياً. وابتسمت له بكآبة: «عاشقان.. كنت أظن أن الأسر اليونانية لا توافق على ذلك قبل الزواج».



فأجاب متهكماً: «ليس بالنسبة إلى بناتها، ولكن بما أنك لست يونانية، وبما أنني نصف إنكليزي، فأنا واثق من أن جدي سيكون أكثر... تسامحاً».

ـ ولكن ألا يكون متسامحاً إذا أنت تزوجت ابنة أخيه؟

قالت ذلك وهي لا تدري لماذا يثير فيها ذكر تلك المرأة مثل هذا الإحساس بالألم والعداء.

ـ أثينا، ابنة أخيه، أرملة، ومن الطبيعي أن جدي..

وسكت ثم قال لها بجفاء: «إن أثينا نفسها لن تقبل تدخل جدي في ناحية من نواحي حياتها، إنها امرأة غاية في القوة».

ـ هل قلت إنها أرملة؟

وكانت، لأمر ما، تظنها فتاة شابة. لم يخطر ببالها قط أنها تزوجت سابقاً.

ـ نعم، أرملة وأم لابنتين مراهقتين.

ـ مراهقتان!

ـ تزوجت في الثانية والعشرين، وهذا منذ عشرين سنة تقريباً.

اتسعت عينا ساسكيا وهي تحسب في عقلها، من الواضح أن أثينا أكبر سناً من أندريس، ولا شك أنها امرأة ضعيفة وحيدة مرغمة على الزواج مرة أخرى بينما هي ربما لا تريد ذلك.

أخذت ساسكيا تفكر في ذلك شاعرة بالشفقة على أثينا.

ـ وعلى كل حال، ليس عليك الاهتمام بمسألة أثينا، فربما لن تقابليها أبداً. فهي تمضي حياتها بالتجول بين أثينا ونيويورك وباريس، وتمضي معظم وقتها مسافرة، كما أنها تدير شركة شحن ورثتها عن أهلها.

شركة شحن، وسلسلة فنادق. لا عجب في تلهف جد أندريس

ليزوجها به، وحيّرها أن أندريس ليس مثل جده حريصاً على هذا الزواج، خصوصاً بعد الصفقة التي عقدها للاستيلاء على سلسلة الفنادق.

وكأنه تكهن بما تفكر فيه، فمال إلى الأمام وقال لها بجرأة: «أنا لا أبيع نفسي مثلك».

ـ أنا لم أكن أبيع نفسي.

أنكرت ذلك بحدة، ثم قطبت جبينها عندما جاء النادل حاملاً طبقي طعام تفوح منهما رائحة لذيذة.

فقالت عندما وضعهما أمامها وأمام أندريس: «أنا لم أطلب طعاماً».

أجابها أندريس: «لا. لكنني طلبته لك، لا يعجبني أن أرى إحدى نسائي جلداً على عظم كالأرانب الجائعة. قد يكون مسموحاً للرجل اليوناني ضرب امرأته، لكنه لا يمكن تخطي ذلك إلى درجة تجويعها».

فقالت ساسكيا بنبرة تمرّد: «يضرب..».

لكنها سكتت عندما رأت لمعان عينيه فأدركت أنه كان يغيظها.

ـ أنت يا ساسكيا، من النساء، اللواتي يجعلن القديس، وليس الرجل العادي، يحاول إخضاعهنّ والسيطرة عليهنّ، لكنه بعد ذلك يتمنى لو أنه يملك القوة ليسيطر على نفسه.

ارتجفت ساسكيا فقد صدمت بقوله هذا. ما الذي يجعلها تحس به إلى هذا الحد؟ ويبعث فيها مثل هذا التوتر؟

أخذت تأكل لكي تلهي نفسها فقط وليس لشيء آخر، غير واعية إلى نظرة الاستمتاع الممزوجة بالحسرة التي رمقها بها وهي تأكل. لو لم يكن يعرفها جيداً لقال إنها غير خبيرة بالرجال كالفتاة العذراء، ذلك أن أي حديث عن الحب يجعلها ترتجف فلا تستطيع مواجهة نظراته،



ومن حسن الحظ أنه يعلم أن كل هذا هو مجرد تمثيل، وإلا.. وإلا ماذا؟ وإلا لاندفع بعنف ليرى ما إذا كانت ترتجف بهذا الشكل عندما يلمسها كما ترتجف عندما يتحدث إليها.

ولكي يتغلب على مشاعره، أخذ يتحدث إليها بلهجة عملية: «هناك أشياء عليك معرفتها عن خلفية أسرتي لكي تقنعي جدي بأننا نحب بعضنا».

وراح يتحدث عن أسرته، مع بعض التعليقات الحذرة عن صحة جده، مضيفاً: «هذا لا يعني أن صحته ضعيفة، ولكن بما أن الأطباء نصحوه بعدم العمل كثيراً، فقد بات أكثر عناداً وتصميماً على التدخل في حياتي، فهو يقول لأمي بأنه خائف من أن يموت قبل رؤية أحفاده، أي أولادي، وإذا لم يكن هذا ابتزازاً، لا أدري ماذا يكون».

قال ذلك بلهجة مطاطة، فعلّقت بعذوبة ساخرة: «يبدو أن الابتزاز عيب متأصل في أسرتكم».

فرمقها بنظرة لم تأبه لها، ثم أضاف: «ولا شك أن إقامتنا في الجزيرة ستكشف عن عيوب معينة في شخصيتنا لن نتمكن من التغاضي عنها. وعندما نعود إلى انكلترا سنفسخ الخطوبة. ولكنني، على الأقل، أكون كسبتُ بعضاً من الوقت.. وأرجو أن تكون أثينا، حينذاك قد قررت قبول أحد المتقدمين للزواج بها الذين يتحدث عنهم جدي».

ـ وإذا هي لم تقبل؟

ـ إذا لم تقبل، عليّ إذن تأجيل فسخ خطوبتنا حتى أجد طريقة أقنع بها جدي بأن إحدى شقيقتيّ يمكنها إنجاب أحفاد له.

فسألته وهي مجفلة: «ألا تريد أنت الزواج أبداً؟».

فأجاب: «حسناً، فلنقل هذا ما دمت بلغت الخامسة والثلاثين دون أن أتعرّف إلى المرأة التي تكون علّة وجودي، وأنا أشك في حصول

ذلك لي الآن. الحب هو من أوهام الفتيان ومبالغاتهم. أما بالنسبة لمن تجاوز الثلاثين فهو حماقة لا فائدة منها».

ولم تستطع ساسكيا منع نفسها من إخباره: «أبي أحب أمي عندما كان في السابعة عشرة وهربا معاً».

واغرورقت عيناها ثم قالت: «وكانت تلك غلطة. فقد تلاشى حبهما لبعضهما البعض قبل ولادتي، فلو كان أبي أكبر سناً لشعر، على الأقل، ببعض المسؤولية تجاه الطفل الذي أنجبه. لكنه كان هو نفسه ما يزال ولداً».

فسألها أندريس مقطب الجبين: «وهل تخلّى عنك؟».

ـ كلاهما تخلّى عني، فلولا جدتي لانتهى بي الأمر في أحد دور الأيتام.

وهنا أخذ أندريس ينظر إليها باتزان. أترى هذا هو سبب تسكعها في الحانات بحثاً عن الرجال؟ أتراها تبحث عن الحب الذي لم تجده عند أبيها؟ وضايقه أن يرغب في إيجاد مبرر لها يبرئها من تصرفها الذي رآه الليلة الماضية. لماذا يحاول إيجاد الأعذار لها؟ من المؤكد أن دموعها التي ذرفتها منذ فترة لم تؤثر عليه.

وفجأة قال بجفاء: «حسناً، لقد حان وقت ذهابنا».

* * *



# ٤ ـ إياكِ أن تعترضي!

لو أن أحداً أخبر ساسكيا منذ أسبوعين أنها ستترك كل ما ألفته لتسافر إلى جزيرة يونانية تجهلها بصحبة شخص لا تعرفه يُفترض أنه خطيبها، لو حدث ذلك لهزت ساسكيا رأسها مستنكرة وساخرة.

وهذا يظهر فقط ما يمكن أن يفعله مزيج من غطرسة الرجل وسيطرته وعزيمته وثقته بنفسه، ثم راحت ساسكيا تفكر بقلق غامض.

ففي أقل من ربع ساعة، سيأتي أندريس في سيارته المرسيدس ليأخذها إلى أول محطة في رحلتهما إلى «أفروديت» الجزيرة التي كان اشتراها جده لزوجته وأطلق عليها اسم إلهة الحب.

كان زواج جديه نتيجة حب ولكن بموافقة الأسرتين.

هذا ما حدّث أندريس ساسكيا به في معرض حديثه عن أسرته، زواج حب.. بعكس خطبتهما الزائفة، فمجرد كونها طرفاً في تلك الخدعة، أشعرها بعدم الارتياح، ولكن ليس بمثل ذلك الذي تملكها وهي تتصل بجدتها لتكذب عليها قائلة إنها مسافرة في رحلة عمل.

حاول أندريس إقناعها بأن تخبر جدتها بخطبتهما، لكنها رفضت، قائلة له بقنوط: «ربما يسعدك أن تكذب على أسرتك بشأن (علاقتنا) المزعومة، لكنني لا أستطيع الكذب على جدتي بشأن أمرٍ كهذا..» ولم تستطع متابعة الكلام.. فلم تشأ الاعتراف لأندريس بأن جدتها لن تصدق على كل حال، بأنها عهدت بنفسها ومستقبلها إلى رجل دون

حب.

عندما هدأت الضجة التي أثارها خبر خطبة ساسكيا وأندريس، في العمل، أخذ زملاؤها يعاملونها باحتراس وتحفظ، فهي الآن خطيبة الرئيس وبهذا لم تعد واحداً منهم.

وهكذا أمضت ساسكيا الأسبوع شاعرة بالوحدة والخوف، لكن كرامتها منعتها من قول أي شيء لأي أحد.. وافترضت أن هذا من تأثير طفولتها عندما عرف الجميع قصة والديها وكيف عهدوا بها إلى جدتها لتربيتها، وكل هذا جعلها تشعر بالاختلاف عن زميلاتها اللواتي لديهن جميعاً آباء وأمهات يرعونهم.

وهذا يعني أنه ما كان بإمكان أحد أن يحبها أكثر مما أحبتها جدتها، وهذا أول ما تعترف ساسكيا به الآن. فقد كان منزل جدتها الذي نشأت فيه يحتوي على المحبة والاستقرار اللذين يحويهما أي بيت آخر إن لم يكن أكثر.

وعادت من تفكيرها ونظرت إلى ساعتها، بقي أقل من خمس دقائق لذهابها، وأخذ قلبها يخفق بقوة. كانت حقيبة ملابسها جاهزة تنتظر في الردهة. لقد صعب عليها اختيار الملابس، إلى أن قررت أخذ خليط من ملابسها الصيفية التي اشترتها منذ ثلاث سنوات عندما ذهبت مع ميغان في إجازة إلى البرتغال، بالإضافة إلى بعض الملابس الخفيفة التي ترتديها في العمل.

لم ترَ أندريس منذ أخذها إلى الغداء.. فهو منشغل بوضع مناهج جديدة للعمل، حيث كان يواجه، إذا صدقت الشائعات، مشاكل وضع الفنادق المتدهور الذي كان سائداً قبل استلامه الإدارة والملكية.

ـ لقد زار كل فندق من فنادقنا. وراجع كل الطرق التي كانت تدار بها.. خمّنوا ماذا؟



سمعت ساسكيا هذا الكلام عن أندريس وهي تقف مع مجموعة الموظفين الذين يستمعون بلهفة إلى نظام المدير الجديد، فابتلعت ريقها بضيق، متوقعة سماع أن أندريس قد وضع برنامجاً لطرد مجموعة كبيرة من الموظفين وذلك لإيقاف طوفان النفقات غير الضرورية، ولكنها ذُهلت وهي تسمع، بدلاً من ذلك: «لقد أخبر كل شخص أن وظيفته آمنة بشرط أن يرضى بالمشاريع التي سيضعها. إنه مدير رائع، ففي كل قسم تواجد فيه، كان يتحدث بحيوية ونشاط، ويخبرهم بمدى تقديره لإنجازات هذا القسم، وكيف أنه هو شخصياً سيتحمل المسؤولية في مجلس الإدارة إذا لم يستطع تحويلها إلى مشاريع مربحة».

كانت الأخبار عن أندريس تفيد أن لديه أسلوباً لا يجعل موظفيه الجدد يقسمون يمين الولاء وحسب، وإنما يرفعونه إلى السماء تبجيلاً وتعظيماً.

حسناً، ربما هم لم يروا الناحية الأخرى من المزايا التي رأتها هي في أندريس. هذا كل ما استطاعت ساسكيا التفكير فيه وهي تصغي بشيء من المرارة إلى إطراء الجميع له.

أشارت الساعة إلى العاشرة والنصف الآن، وهو لم يأتِ.. وأجفلت وهي ترى فجأة السيارة المرسيدس الفخمة تتجه نحو بيت جدتها، في الوقت المحدد بالضبط! ولكن، طبعاً، ما كان أندريس ليضيّع ثانية واحدة من وقته الثمين إلا مضطراً، خصوصاً معها.

ريثما وصل إلى الباب الخارجي، كانت هي قد فتحت الباب ووقفت تنتظره، حقيبة ملابسها بيد، ومفاتيحها باليد الأخرى.

بادرها على الفور متسائلاً: «ما هذا؟».

ورأت عبوسه وهو ينظر إلى حقيبة الملابس الرخيصة، وثارت

كرامتها على الفور فأجابته بحدة: «إنها حقيبة ملابسي».

ـ ناوليني إياها.

ـ يمكنني حملها بنفسي.

فقال متجهماً: «أنا واثق من ذلك، ولكن..».

فقالت متحدية: «ولكن ماذا؟ الرجال اليونانيون لا يسمحون لنسائهم بحمل أمتعتهن ولا الاستقلال عنهم بأي شكل».

رأت من توتر شفتيه أنه لم يعجب بما قالت، ولأمر غريب، شعرت برغبة في تحديه بالرغم من قلقها من العاصفة التي رأت دلائلها تتوهج في عينيه.

فأجاب: «أرى، في هذه الحالة، أنه ربما كان عليك لوم أبي الإنكليزي وليس والدتي اليونانية. فمدرستي الإنكليزية التي أصرّ أبي على إرسالي إليها، كانت تؤمن بما يُعتبر الآن طرازاً قديماً للسلوك الجيد لتلاميذها».

ثم ألقى عليها نظرة غير ودية وأضاف: «كلمة واحدة أحذرك بها: إن جدي يميل إلى الطراز القديم في مثل هذه الأمور. وهو لن يفهم إصرارك العصري على ما تعتبرينه سلوكاً صحيحاً، وأثناء وجودك في الجزيرة..».

فأكملت عنه بمرارة: «عليّ أن أفعل ما تأمرني أنت به».

فلم يرد أندريس بأي كلمة.

إذا كانت هذه عيّنة مما ستكون عليه الأسابيع القليلة القادمة، فهي لا تعرف كيف ستعيشها، ومع ذلك، سيكون هناك فائدة واحدة على الأقل لعدائهما الواضح لبعضهما البعض، وهي أن لا أحد من الذين سيراهما معاً، سيدهش عندما يقرران فسخ (خطوبتهما).

وبعد أن ركبا السيارة، قال أندريس: «ستقلع طائرتنا عند الساعة



التاسعة من صباح الغد، لذا علينا مغادرة الشقة باكراً».

فسألته على الفور بلهجة حذرة: «الشقة؟».

ـ نعم، لدي شقة في لندن، سنبيت فيها الليلة، وعصر هذا اليوم سنقوم بالتسوّق.

ـ التسوّق..؟

ـ نعم، التسوّق، أنت بحاجة إلى خاتم خطبة، و...

وسكت وهو يلقي عليها نظرة شاملة، وفاحصة وغير راضية مما جعلها توشك أن تطلب منه إيقاف السيارة حالاً. آه، ما أجمل أن تخبره بأنها غيّرت رأيها، وأن لا شيء يجبرها على الخضوع لابتزازه لها. لكنها كانت تعلم أنها لن تستطيع ذلك.

ـ أنتِ بحاجة إلى ملابس أفضل.

ـ إذا كنتَ تعني ملابس الإجازات، فهي في حقيبتي، و..

فأسكتها متجهماً: «لا، أنا لا أعني ملابس الإجازات. أنا رجل شديد الثراء يا ساسكيا، لست بحاجة إلى إخبارك بذلك. وجدي هو بليونير، وأمي وشقيقتاي اعتدن شراء ملابسهن من أرقى دور الأزياء في العالم، رغم أنهن لا يُعتبرن من المتأنقات فوق العادة أو المدمنات على التسوق. وطبيعي، بصفتك خطيبتي...».

أخذت ساسكيا نفساً عميقاً غاضباً ثم قاطعته بلهجة خطيرة: «إذا كنتَ تظنني سأسمح لك بشراء ملابسي...».

ـ ولِمَ لا؟ ألم تكوني مستعدة للسماح لي بشراء جسدك؟ أنا أو أي رجل مستعد لدفع الثمن؟

فصاحت به مستنكرة وقد شهقت مذهولة من وقاحته: «لا، هذا غير صحيح».

فأجاب ساخراً: «حسناً جداً. ولكن وفري هذه الانطباعات

الخاصة لأسرتي. . لا تنسي أنني أعلم بالضبط من تكونين، وفكري في الملابس التي سأشتريها لك على أنها علاوة معاش».

ثم منحها ابتسامة باهتة غير رقيقة، وقال: «على كل حال، عليّ أن أضيف أنني أريد مراجعة كل ما تريدين شراءه، فالصورة التي أريد تقديمك بها إلى أسرتي بصفتك خطيبتي، هي الأناقة وحسن الذوق».

- ماذا تريد أن تقول؟ أنك إذا تركتني وشأني قد أختار ملابس تناسب أكثر اللاتي. . ؟

قالت ذلك بغضب لكنها سكتت، عاجزة عن تلفّظ تلك الكلمات التي تحترق في أفكارها.

وتملكها الذهول والإرتباك عندما أجاب ببرودة: «يبدو أنك غير معتادة على شراء الملابس الغالية الثمن وأنا لا أريد إطلاق العنان لك في توفير أحمق لا ضرورة له مما قد يبطل الغرض من العملية كلها وبصراحة، وخوفاً من سوء فهمك لكلامي، فأنا لا أريدك أن تشتري ملابس تناسب شابة ذات مرتب متواضع أكثر مما تناسب خطيبة رجل ثري».

وللمرة الأولى، لم تستطع ساسكيا التفكير في الرد عليه. لكنها في داخلها كانت تغلي غضباً وخزياً، فهي لا تستطيع منع أندريس من المضي في خطته، إلاّ أنها صممت على الاحتفاظ في ذاكرتها بكل ما ينفقه عليها لتتمكن في النهاية من إعادة المال إليه حتى ولو اضطرت إلى خسارة كل المبلغ الصغير الذي وفرته بعناية حتى الآن. وعندما لم يلقَ منها جواباً قال: «لا مزيد من الإعتراض؟ فأنا مصمم، يا ساسكيا، على بلوغ ما أريد حتى ولو اقتضى الأمر أن ألبسك الأثواب وأخلعها عنك بنفسي. ثم إياك والخطأ، فعندما نصل إلى جزيرة «أفروديت»، ستصلين بصفتك خطيبتي».



عندما وصلا إلى الطريق العام، قررت ساسكيا أنه من الحماقة المناقشة مع أندريس في طريق السيارات المزدحم هذا، ومضت نصف ساعة قبل أن تدرك أن مناقشة شراء الملابس، أنستها مناقشة أهم تبعث الضيق في نفسها وهي فكرة قضائها الليلة في شقته.

ولكن ما الذي تخافه في الحقيقة؟ من المؤكد أنه لن يحاول التحرش بها، فقد سبق وأفصح عن رأيه السلبي بها من هذه الناحية.

وكرامتها أكبر من أن تعترف له بمخاوفها وتوجسها من فكرة مشاركته شقته. سيكون الأمر مختلفاً في الجزيرة. هناك سيكونان مع أسرته والموظفين الذين يديرون الفيلا الواسعة التي بناها أبوه.

لا، من الحكمة عدم التفوه بأي كلمة، وهذا أفضل من التعرض لسخريته وازدرائه وعدم تصديقها إذا هي أفصحت عن قلقها.

* * *

كانت أثينا تنتظر سائق سيارة الليموزين المستأجرة، لكي يضع أمتعتها في الصندوق وهي تضرب قدمها على الأرض بفارغ الصبر.

ففي اللحظة التي سمعت فيها بخبر خطبة أندريس وأنه سيحضر خطيبته معه إلى جزيرة «أفروديت» لتقدمها إلى أسرته، باشرت العمل. من حسن الحظ أن الخطبة ليست زواجاً، وهي ستسعى جهدها حتى لا تنتهي هذه الخطبة بزواج.

كانت تعلم لماذا فعل أندريس هذا، طبعاً. فهو يوناني حتى العظم. . رغم إصراره على الإعلان عن دمه الإنكليزي. . وهو، كأي رجل يوناني، أو أي رجل في الحقيقة، لديه استعداد غريزي للسيطرة، وإن ادعاؤه بحب تلك المرأة الأخرى هو، ببساطة، طريقته في إظهار تلك السيطرة، رافضاً الزواج من أثينا، هذا الزواج العزيز على جده وعليها.

عندما انطلقت بها الليموزين، مالت إلى الأمام وأعطت السائق عنوان الشقة الفخمة في البناية المطلة على النهر. لم يكن لديها منزل في لندن، فهي تفضل حياة نيويورك الاجتماعية ومتاجر باريس الأنيقة.

قد يظن أندريس أنه هزمها بمناوراته في إعلان خطوبته على تلك الفتاة الإنكليزية الباردة، دون شك. لكنها ستُنهي ذلك حالاً، وتجعله يتأكد من أن مصلحته الحقيقية معها. وبعد، كيف يمكنه مقاومتها؟ فهي تملك كل ما يريده، كما أنه هو يملك كل ما تريده.

من المؤسف أنه استطاع منعها من المزايدة ضده عند شراء هذه الممتلكات الجديدة. لم تكن حيازة الفنادق نفسها تهمها بشيء، ولكن ذلك كان ليكون إغراءً ممتازاً له تدليه أمامه كطعم. فهي لم تستطع فهم اهتمام أندريس البالغ بالممتلكات الجديدة؟ ولكن في شخصية أندريس أشياء كثيرة لا تفهمها، وكان هذا من الأمور التي تجذبها إليه، فأثينا تتشوّق دوماً إلى ما ليس في متناول يدها.

عندما كان أندريس في الخامسة عشرة، كان طويل القامة، عريض المنكبين، ومن الوسامة بحيث لا يمكن وصفه. كان يكفي حينها أن تراه أثينا لتذوب شوقاً إليه.

حاولت جاهدة أن تغويه، لكنه استطاع مقاومتها، وعندما قررت أنها تريده، إذا بها تتزوج بعد شهر وهي في الثانية والعشرين من عمرها.

والعروس في الثانية والعشرين لا تعتبر صغيرة السن حسب المفاهيم اليونانية. وكانت أثينا أمضت وقتاً طويلاً وهي تحاول حذرة اقتناص الرجل الذي أصبح زوجها، وهو يكبرها بعشر سنوات، إلاّ أنه بالغ الثراء وقد زاول معها لعبة القط والفأر أكثر من سنة قبل استسلامه لها. ومن المؤكد أنها ما كانت لتتخلى عن هذا الزواج الذي جاهدت



طويلاً للحصول عليه، لأجل رغبتها في أندريس، وهو مجرد غلام. وبعد إنجابها ابنتين هما الآن في عمر الورود، تدخل القدر، ومات زوجها فجأة وأصبحت أرملة فاحشة الثراء.. أرملة ثرية تطلب الحب، وكان أندريس قد أصبح الآن رجلاً.. وأي رجل!

عندما وقفت السيارة أمام العنوان الذي أعطته أثينا للسائق، تفحصت صورتها في المرآة المثبتة داخل السيارة. جرّاح التجميل الأميركي يستحق حقاً المبلغ الباهظ الذي دفعته له والذي أعاد مظهرها إلى أوائل الثلاثينات من العمر.

أمّا شعرها الفاحم فقد قصه وسرّحه لها أحد أشهر مزيني الشعر في العالم، بينما كانت بشرتها تتألق بفعل «الكريم» الغالي الثمن الذي وضعته بإسراف، وزينة وجهها لا يظهر أي عيب فيها وتوضح انحراف عينيها السوداوين، في حين كانت أظافر يديها ورجليها تلمع بالطلاء الأحمر البراق.

وبدت على شفتيها ابتسامة رضى. لا، لا يمكن أن تنافسها خطيبة أندريس الصغيرة المملة الكئيبة، فتاة المكتب التي لا بد أنه وقع في غرامها أثناء المفاوضات لشراء سلسلة الفنادق تلك.. وبدت القسوة في عيني أثينا. هذه الفتاة، أياً كانت، ستدرك حالاً أي غلطة اقترفتها في محاولتها الاستيلاء على الرجل الذي تريده أثينا، ويا لها من غلطة فظيعة للغاية!

عندما خرجت من السيارة، تبعها شذا العطر الباريسي الغالي الثمن.. عطر مسكي ثقيل يحرك الرغبات.

كانت ابنتاها المراهقتان تشمئزان من هذا العطر، وطالما طلبتا منها أن تغيّره، ولكنها لم تشأ ذلك. إنه طابعها الخاص وعنوانها كامرأة، ولا شك أن خطيبة أندريس الإنكليزية تتعطر بشيء تافه

ورخيص كماء اللافندر!

* * *

ـ سأترك السيارة هنا.

هذا ما قاله أندريس لساسكيا وهو يدخل بسيارته المرسيدس إلى موقف متعدد الطوابق في وسط المدينة. واتسعت عينا ساسكيا عندما رأت التعرفة الملصقة على الحاجز. لم تحلم قط في حياتها بدفع مثل هذا المبلغ كأجرة لركن السيارة، لكن الأغنياء، كما يقال، هم أناس مختلفون.

ويا للاختلاف الذي شعرت به عندما اصطحبها أندريس طوال العصر إلى متاجر لم تكن تعلم قط أنها موجودة، وفي كل متجر، كان الجو المميّز الذي يحيط به يبدو وكأنه يجذب من البائعات نوعاً من التبجيل والاحترام يجعل ساسكيا تزم شفتيها. ورأت الإعجاب في عيون البائعات وهن يحضرن مجموعات الملابس ليراها.. ليراها هو وليس هي. وكلّما لاحظت ساسكيا ذلك كلما ازداد في نفسها الإحساس بالضعف والإحباط والاستياء. وخرجا من أحد المتاجر الفخمة بعد أن رفضت ساسكيا بخشونة أن تجرب طقماً بني اللون، ثم انفجرت صارخة في وجه أندريس: «أنا لست دمية أو طفلة».

فقال متجهماً: «لا؟ حسناً، لكنك تقلّدين الأطفال بشكل رائع، ذلك الطقم كان..».

فقاطعته وهي تصرّ على أسنانها: «لا يمكن أبداً أن أدفع ثمناً لقطعة ثياب مبلغاً يفوق الألف جنيه.. حتى ولا لثوب عرسي!».

وعندما رأت أندريس يضحك، حملقت فيه ثائرة ومتسائلة: «ما الذي يضحكك؟».

ـ أنتِ، يا عزيزتي ساسكيا. هل لديك فكرة عن نوع ثوب العرس



الذي ينزل ثمنه عن الألف جنيه؟

ـ لا، ليس لدي فكرة، لكنني أعرف أنني لن أشعر بالإرتياح أبداً وأنا أرتدي ملابس يطعم ثمنها مجموعة من الناس، كما أن ثوب العرس الغالي ليس ضماناً لزواج ناجح.

فقال ساخطاً: «آه، وفري عليّ محاضراتك... هل فكرت يوماً كم من الناس يبقون دون عمل إذا ارتدى كل شخص الأسمال البالية وأكياس الخيش كما تريدينهم أن يفعلوا؟».

فقالت وكأنها تدافع عن فكرتها:

ـ هذا ليس عدلاً.

ورغم كل شيء كانت ساسكيا من الأنوثة بحيث تحب الملابس الجيدة وتريد أن تبدو بمظهر لائق. ولا شك أن ذلك الطقم كان سيليق بها تماماً ويظهر أنوثتها، كما اعترفت بينها وبين نفسها، لكنها كانت مصممة تماماً على إعادة كل قرش ينفقه أندريس عليها.

وقالت له ثائرة: «لا أدري لماذا تصرّ على هذا؟ أنا لستُ بحاجة إلى أي ملابس، وقد سبق أن قلتُ لك هذا، كما أنك لستَ بحاجة إلى تبذير نقودك بأي شكل لكي تؤثر علي».

فقال بحدة وغضب: «إنني رجل أعمال يا ساسكيا، وهذا يعني أنني لا أبذر نقودي، بأي شكل، سواءً عليك أم على أي شيء آخر ومهما كان السبب، وخصوصاً للتأثير على امرأة يمكن بسهولة شراؤها بأقل من نصف ثمن ذلك الطقم».

ثم أمسك بيدها التي ارتفعت بشكل تلقائي لتصفعه وقال بلطف: «آه. لا.. إيّاك».

كانت قبضته قوية، بحيث ابيضّت أصابع ساسكيا. لكن كرامتها أبت عليها القول بأنه آلمها وأبت عليها الاعتراف بخروج مشاعرها عن

سيطرتها. وعندما أخذت تترنح، وقد شحب وجهها من الألم والصدمة، أدرك أندريس ما يحدث، فترك معصمها وهو يشتم، ثم راح يدعك يدها ليعيد إليها الحياة.

- لماذا لم تخبريني بأنني كنت أؤلمك بهذا الشكل؟ عظامك بهشاشة عظام العصافير.

حتى الآن، وهو يمسّد يدها بخبرة، ليعيد إليها الدم، لم تستطع ساسكيا السماح لنفسها بالضعف استدراراً لشفقته، فقالت له بحدة: «لم أشأ أن أفسد عليك متعتك، إذ يبدو أنك كنت مستمتعاً بإيلامي».

أجفلت حين سمعت الشتيمة التي أطلقها وهو يترك يدها عابساً وقائلاً بتصميم: «لقد زاد هذا عن الحد. فأنت تتصرفين كالأطفال. أولاً كنت بنت هوى، والآن طفلة. هنالك دور واحد أريد رؤيتك تقومين به من الآن فصاعداً، يا ساسكيا، وهو الدور الذي سبق واتفقنا عليه، سأحذرك الآن. إذا أنتِ قلت أو فعلت أي شيء يجعل أسرتي تشك في مدى صدق حبنا، سأجعلك تندمين جداً على ذلك. هل فهمت؟».

- نعم، فهمت.

فعاد يقول محذراً: «وأنا أعني ما أقول، فإذا هزأت بي، لن تعملي ليس في سلسلة فنادقي وحسب يا ساسكيا، بل سأفعل ما يلزم لكي لا تتمكني من العمل بعد ذلك في أي مكان. فالمحاسبة التي لا يمكن الوثوق بها، والتي طُردت من العمل بسبب تهمة السرقة، لن يرغب أحد بتوظيفها، هل فهمت؟».

فقالت بصوت منخفض وخائف وقد شحب وجهها: «لا يمكنك أن تفعل بي هذا».

لكنها أدركت جيداً أنه يمكنه ذلك.



شعرت الآن نحوه بكراهية بالغة. وعندما أدخلها إلى المتجر التالي، ورأت عيني البائعة تتسعان باهتمام، فكرت بأن هذه الفتاة هي مرغوبة لديه.. بل وأكثر من مرغوبة!

وفي آخر متجر دخلا إليه، طلب خدمات صاحبة المتجر شخصياً، فأحضرت لهما هذه، ببالغ الكفاءة والنشاط، ملابس لم تر لها مثيلاً إلا في المجلات النسائية المصقولة اللامعة.

حاولت رفض كل ما أحضرته صاحبة المتجر، ولكن في كل مرة كان أندريس يعترض عليها، إلاّ في تلك المرة الوحيدة فقد اتفقا فيها، حينما أحضرت صاحبة المتجر ثوب بحر قائلة عنه إنه يناسب لونها تماماً وكذلك المكان الذي ستقصده. وعندما رأت ساسكيا أنه فاضح جداً، اتسعت عيناها غير مصدقة.. واتسعتا أكثر عندما استطاعت، بحذر، قراءة بطاقة ثمنه، فهتفت دون وعي: «لا يمكنني أبداً السباحة بثوب بحر مماثل».

فبدا الذهول على صاحبة المتجر: «تسبحين به؟ رباه، لا. طبعاً لا. هذا ليس للسباحة، ثم، انظري إلى هذا الوشاح الرائع الذي يتلاءم معه». وأخرجت لها وشاحاً مستطيلاً من الحرير الهفهاف مزيناً «بالترتر» اللامع الملوّن.

وعندما رأت الثمن المؤلف من أربعة أرقام، شعرت ساسكيا بأنها تكاد تقع مغمياً عليها من الذهول، ولكن الارتياح والدهشة تملكاها عندما هز أندريس رأسه هو أيضاً، قائلاً: «هذا ليس نوع اللباس الذي أريد لخطيبتي أن ترتديه».

ثم أضاف بصراحة: «إن جسم ساسكيا يجذب الأنظار دونما الحاجة إلى تزيينه بملابس تلائم البغايا».

كانت صاحبة المتجر من اللباقة بحيث لم تلحّ عليهما بل ذهبت

وعادت بعدة أثواب سباحة.

اختارت ساسكيا أزهدها ثمناً، سامحة، على الرغم منها، لأندريس بأن يضيف إليه وشاحاً ملائماً.

وبينما كان يدفع الحساب ويقوم بترتيبات إرسال المشتريات إلى شقته عند النهر، جلست هي تشرب القهوة التي قُدّمت إليها في المتجر، ربما لأنها لم تأكل شيئاً طوال النهار. ثم انتابها الدوار والقلق، عندما تذكرت بأنها ستذهب مع أندريس إلى شقته، حيث سيكونان بمفردهما.

وفي طريقهما إلى شقته، قال أندريس لـ ساسكيا: «هنالك مطعم ممتاز بالقرب من شقتي. سأرتب أمر إرسال وجبة طعام إلى الشقة و..».

فقاطعته على الفور: «لا، أفضّل الأكل في الخارج».

وإذا به يعبس قائلاً: «لا أظنها فكرة حسنة، لأن عليّ الخروج ولا أدري متى أعود. وإن وجود امرأة وحدها في المطعم غير مستحب، خصوصاً إذا كانت مثلك، تجذب الأنظار، هذا إلى أن التعب بادٍ عليك».

سيخرج أندريس، وشعرت ساسكيا بقلقها يخفّ. كانت قدماها تؤلمانها من السير طويلاً في الأسواق وهي لم تعتد ذلك، كما أن ذهنها كان مرهقاً من حساب المبالغ التي أنفقها أندريس أو بالأحرى هي أنفقتها لأنها مصممة على ردها لأندريس. وكان مجرد التفكير بهذه المبالغ الضخمة جداً يشعرها بالمرض.

تبعت ساسكيا أندريس، نحو ردهة المبنى وقد تملكها التعب. وكان استعمال المصعد يحتاج إلى مفتاح خاص، ثم تحرك بهما المصعد برفق بالغ جعل عيني ساسكيا تستديران ذهولاً عندما توقف



أخيراً، فهي لم تشعر بصعوده.

فقال أندريس بعد أن أمسك بذراع ساسكيا: «من هنا».

واتجها نحو باب من الأبواب الأربعة وهو يحمل حقيبتها، ثم وضعها على الأرض مشيراً إلى ساسكيا بأن تتقدمه إلى ردهة أنيقة.

* * *

## ٥ ـ رائحة الخطر

لم تصدم ساسكيا اللوحات العصرية الغالية الثمن المعلقة على جدران الردهة في شقة أندريس، وإنما رائحة المسك العطرية التي اخترقت خياشيمها وجعلتها تجفل وتشعر بالاختناق.

لم تشكّ في أن أندريس انتبه إلى ذلك هو أيضاً، فقد رأته يقف، ثم يرفع رأسه كنمر يتشمم الجوّ بحثاً عن فريسة.

وسمعته يتمتم بغضب بالغ: «تباً تباً... اللعنة».

ثم دفع بشدة باباً انفتح على قاعة جلوس فسيحة كثيرة النوافذ، وعاد وأمسك بذراعها بقوة، فانغرزت أصابعه في ذراعها الطرية وهو يهمس، محذراً، فوق شفتيها بينما عيناه الملتهبتان تغوصان في عينيها المصدومتين الغافلتين، الناعمتين.

ـ وأخيراً، أصبحنا وحدنا. كيف أمكنك الإستمتاع بإغاظتي طوال النهار، يا حبيبتي؟ لكنك الآن أصبحت لي، ويمكنني أن أوقع بك العقاب الذي أريد..

شتت صوته الرقيق الخافت، وكلماته تلك ما بقي من إدراكها، وشعرت بأن الصدمة تمزق كيانها، ثم عانقها، مسكتاً الإحتجاج الذي كان سيصدر عنها وكان عناقاً حطم دفاعاتها وكأنه قنبلة ذرية.

همست باسمه بلهجة مفككة، مصرّة على أن يتوقف عما يفعله، ويفسر لها سبب ذلك، لكن حواسها غير المعتادة على كل هذه الإثارة



قاومت كل ما كان عقلها المذهول يحاول تفسيره. فالجمود الذي أحدثته الصدمة أذابته حرارة البهجة التي أرسلتها مشاعر أندريس الجياشة في كيانها، كما أخذت شفتاها الناعمتان ترتجفان تجاوباً مع هذه المشاعر التي لم تألفها.

ودون وعي بما تفعل، ازدادت اقتراباً منه، واقفة على أطراف أصابعها لكي تتمكن، من الاستمتاع ببهجة عناقه، يداها على ذراعيه تتلمسان عضلاته القوية، بينما قلبها يخفق برهبة لهذه الصدمة غير المألوفة ولما يتملكها من مشاعر جديدة.

كانت رائحة أندريس تغطي على شذا ذلك العطر القوي الخانق الأنثوي. حرارته.. مشاعره.. رجولته.. فشعرت بشيء ما في داخلها لم تألفه من قبل يستجيب لذلك تماماً كما كان قلبها يستجيب له، وهي تتأرجح بين ذراعيه بانسجام، وكأنها تحثه على شدّها إليه أكثر.

شاعرة بالدوار، فتحت عينيها اللتين أغمضتهما عندما عانقها وهي ترتجف، فرأت شرراً ينطلق كلمعان البرق من عينيه وهو يحدق إليها، فشعرت بنفسها معلقة بين السماء والأرض في هذا المكان الذي تشعر فيه بالخطر والأمان في آن معاً.

ثم قال لها أندريس بصوت أجش: «إنك تتجاوبين معي وكأنك بريئة.. عذراء..».

وازداد لمعان الشرر في عينيه، بشكل أقوى وكأنه وجد في هذا المفهوم شيئاً يرضيه للغاية.

بادلته ساسكيا النظرات بوهن، فصدرها يخفق بسرعة مخيفة، وجسدها مليء بألم مذهل غير مألوف ما هو إلاّ الحاجة إلى أن يضمها إليه. وكان هذا التفكير يُسرع بخفقان قلبها ويجعلها تتأوه محاولة الإلتصاق به.

ـ أنت.. أنت تريدينني..

وأحست ساسكيا باللهفة في صوته، فازدادت التصاقاً به بشوق بالغ، وإذا بها تجمد مكانها وهي تسمع صوت امرأة يسأل بحدة: «أندريس؟ ألن تعرفّها عليّ؟».

أدركت ساسكيا على الفور ما كانت تقوم به، وتملكها حرج بالغ، ولكن عندما حاولت الهروب، متلهفة لإخفاء اضطرابها، أمسك أندريس بها، مرغماً إياها على البقاء مكانها. لا، بل أرغمها على مزيد من الالتصاق به وهذا جعلها تميل عليه وكأن.. وكأن..

وارتجفت عندما ضمها إلى صدره بتملك، وتوهج وجهها خجلاً وارتباكاً من هذه المرأة. ولكن يبدو أن المرأة التي كانت تنظر إليهما لا تشعر بالخجل نفسه.

وأمسكت ساسكيا أنفاسها عندما سمح لها أندريس بالالتفات إلى المرأة فإذا بها طويلة القامة سوداء الشعر، لاعيب في أناقتها وتبرجها. ولكن رغم دفء لونها الأسمر وشفتيها الناضجتين المصبوغتين ارتجفت ساسكيا وهي تحس ببرودتها الفطرية، وسمعت أندريس يسأل: «كيف دخلت إلى البيت يا أثينا؟».

ـ لدي مفتاح، هل نسيت؟

النظرة التي ألقتها أثينا على أندريس، والطريقة التي أبعدت بها ساسكيا عن حديثهما، مشيحة بوجهها عنها، جعلت ساسكيا تفكر آسفة بما سبق وظنته من أن أثينا أرملة محطمة قد هدّها الحزن لخسارتها زوجها مما جعلها غير قادرة على مقاومة إرغامها على زواج ثانٍ.

وبعد أن رأتها ساسكيا، تأكدت أن أثينا امرأة قوية لا يمكن لأي أحد إرغامها على ما لا تريده، أما عيناها السوداوان فلا علاقة للحزن بهما مطلقاً.



كبحت ساسكيا شعوراً مفاجئاً بالغثيان احترق في حلقها وهي ترى نظرة الرغبة التي رمقت أثينا بها أندريس. لم تتصور ساسكيا قط أن بإمكان امرأة أن تنظر إلى رجل بمثل هذه الرغبة البالغة القوة والصراحة.

الآن فهمت ساسكيا سبب شعور أندريس بالحاجة إلى خطيبة مزيفة ليحمي نفسه، أما الذي لم تستطع فهمه فهو كيف استطاع مقاومة رغبة هذه المرأة فيه؟

كانت ذات جاذبية هوجاء، ورغبتها بأندريس بادية بشكل واضح، ومن المؤكد أن هذا ما يحلم به كل الرجال.. امرأة لا تشبع منهم أبداً.

وببساطة، افترضت ساسكيا أن برودة أثينا الغريزية موجهة فقط لبنات جنسها وذلك لانعدام مشاعر المحبة الأصيلة فيها. ثم استنتجت أن أندريس ضمّها إليه لأنه تكهّن بوجود أثينا في الشقة، فعطرها المميز كان قد ملأ أركان الشقة. وبعد أن اقتربت أثينا من أندريس سألته: «ألن تقول كم أنت مسرور لرؤيتي؟».

ثم زمّت شفتيها باستياء واضح وقالت بلهجة ذات مغزى: «جدك مستاء جداً من خطبتك... أنت تعلم ما كان يريده».

ثم التفتت إلى ساسكيا وقالت بجفاء: «آه، آسفة، لم أقصد أن أجرح مشاعرك، لكنني واثقة من أن أندريس نبّهك إلى مدى صعوبة قبول أسرته بك خصوصاً جده».

فصاح أندريس محذراً: «أثينا».

وتصورت ساسكيا كيف كانت ستشعر الآن لو أن خطبتهما حقيقية.

ـ لكنها الحقيقة.

تابعت أثينا كلامها بإصرار وهي تهز كتفيها، فجذبت هذه الحركة الأنظار إلى امتلاء صدرها تحت بلوزتها القطنية الرقيقة، وأشاحت

ساسكيا بوجهها بسرعة عن أثينا ولم تجرؤ حتى على النظر إلى أندريس. فمن المؤكد أن ما من رجل يمكنه مقاومة جمال أثينا واكتماله.

ولكن ربما أثينا تظهر جمال صدرها لأندريس فقط. ربما أرادت بذلك تذكيره بالعلاقات الحميمة التي ربطتهما يوماً، ذلك أن لديها مفتاح شقته، وهي حتماً تريد التوضيح لساسكيا أن ثمة علاقة حميمة جداً بينهما.

وكأنما إثباتاً لأفكار ساسكيا، مالت أثينا فجأة إلى الأمام، واضعة يدها ذات الأظافر المطلية على وجه أندريس، وهي تقف بينهما وتقول برقة:

ـ ألن تقبّلني يا أندريس؟ فهذه عادتك، وأنا واثقة من أن خطيبتك تعلم أن في اليونان.. العلاقات الأسرية هامة جداً جداً.

فقال أندريس باقتضاب وهو يبتعد عن أثينا إلى الخلف ممسكاً بساسكيا: «ما تعلمه ساسكيا هو أنني أحبها وأريدها أن تكون زوجتي».

ثم أحاط أندريس ساسكيا بذراعيه، واضعاً رأسها على كتفه. عندئذٍ ذكّرت ساسكيا نفسها بسبب تصرفاته هذه، وبالدور الذي يُفترض بها القيام به.

فقالت أثينا عندما رأت هذا المنظر: «ما أحلى هذا».

ثم ألقت على ساسكيا نظرة كالثلج قبل أن تعود فتلتفت إلى أندريس وتقول له بإخلاص مصطنع: «أكره أن ألقي ظلاً على سعادتك، يا أندريس، ولكن جدك مغتاظ منك حالياً. كان يحدثني عن مدى اهتمامه بالطريقة التي تتصرف فيها بالممتلكات الجديدة. وطبعاً، أنا أدرك مدى اهتمامك بأن تدمغ العمل بطابعك الخاص، أن تثبت ذاتك.



لكن امتلاكك لسلسلة الفنادق هذه كانت مجازفة متهورة حقاً، وذلك لتصميمك على الاحتفاظ بكل الموظفين الموجودين، إن عملك هذا لن يحقق لك أي مكسب».

ثم أضافت بسخرية وعذوبة: «ولكن لا بد لي من القول إنه، بعد أن سنحت لي الفرصة لدراسة الحالة المالية لسلسلة الفنادق هذه، فأنا مسرورة جداً لأنني سحبت اشتراكي في المزاد، رغم أنه بإمكاني، طبعاً، احتمال خسارة مليون أو ما يقارب. من المؤسف، يا أندريس، أنك لم تقبل عرضي عليك إدارة شركة الشحن خاصتي. كان ذلك سيمنحك مجالاً أوسع من مجرد العمل كغلام يرسله جده لتأدية «المشاوير» القصيرة..».

أجفلت ساسكيا وهي تستوعب الإهانة التي وجهتها أثينا لتوّها إلى أندريس، لكنها ذهلت عندما رأت أن أندريس لم يهتز على الإطلاق لذلك، ولكنها ما إن أدلت بملاحظة بسيطة، حتى انفجر فيها بغضب بالغ: «كما تعلمين جيداً، يا أثينا، شراء سلسلة الفنادق الإنكليزية هو قرار جدي نفسه. وأنا، فقط، وقعت على الشيك. أما عن أرباحها في المستقبل.. فقد أثبتت أبحاثي أن هناك سوقاً ممتازاً لسلسلة من الفنادق الفخمة في انكلترا، خصوصاً عندما يمكنها التفاخر بما تحويه من ميزات فنادق الدرجة الأولى، وهو المستوى الذي صممتُ أن أجعل سلسلتنا تصل إليه. أما بالنسبة إلى التعقيدات المالية التي تنتج عن إبقاء الموظفين الحاليين.. ساسكيا هي محاسبة، وأنا واثق من قدرتها على إخبارك بما كان ينبغي عليك معرفته بنفسك، بصفتك سيدة أعمال، وهو أن صرف الموظفين الفائضين وعلى المدى الطويل يكلفنا دفع تعويضاتهم أكثر مما يكلفنا الإحتفاظ بهم، كما أن التقاعدات الفردية المنتظرة والخسارة الطبيعية للموظفين سيُنقص عددهم تلقائياً وبشكل

مؤثر في السنوات القليلة التالية. أما أولئك الذين يرغبون في البقاء، فسيُمنحون فرصة لإعادة توظيفهم وتأهيلهم. أما نوادي تمضية أوقات الفراغ التي ننوي إنشاءها في كل فندق فهي، وحدها، ستعالج بشكل رئيسي كل الخمول والتباطؤ بين موظفينا».

ثم غيّر أندريس مجرى الحديث قائلاً: «وعلى كل حال، أنا وساسكيا سنسافر إلى أثينا غداً. لقد أمضينا اليوم نهاراً شاقاً، ونرجو المعذرة، لأن هذه الليلة ستكون ليلة غير عادية بالنسبة إلينا».

وعندما أجفلت ساسكيا، شدّد أندريس من احتضانها محذراً وهو يكرر: «إنها ليلة غير عادية، وهذا يذكرني..».

ثم مد يده إلى جيبه، وهو ما زال ممسكاً بساسكيا بيده الأخرى، وأخرج علبة مجوهرات صغيرة قائلاً لساسكيا: «لقد أحضرت خاتم الخطوبة، ولا بد أنه أصبح الآن بمقاس إصبعك».

وقبل أن تقول ساسكيا شيئاً، أعاد أندريس العلبة إلى جيبه وهو يقول لها برقة: «لكن سنجربه لاحقاً بعد أن نرتاح قليلاً».

ورن جرس الهاتف في الردهة، فانسحب أندريس ليجيب، تاركاً ساسكيا وحدها مع أثينا التي قالت لها بحقد وهي تسير نحو الباب: «ذلك لن يدوم، لن يتزوجك... مقدّر لنا أنا وهو، أن نكون مع بعضنا البعض، وهو يعرف ذلك، كبرياؤه فقط هي التي تجعله يحارب قدره، والأفضل لك تركه الآن فأنا أحذرك من إنني لن أتركه لك أبداً».

وشعرت ساسكيا بأن أثينا تعني ذلك حقاً. وللمرة الأولى شعرت بشيء من الشفقة على أندريس. أهي شفقة على هذا الرجل الذي يعاملها هي بهذا الشكل؟ أم على الرجل الذي أساء الحكم عليها؟ ثم عنّفت نفسها متجهمة ومتمتمة: «لا بد أنني مجنونة».

***



راحت ساسكيا تنظر، متوجسة، إلى الحقائب التي تحتوي مشترياتها الجديدة، وهي تذهب في الشحن، بينما الموظف في المطار يفحص جوازي سفرهما، وكان خاتم الخطوبة يتألق في إصبعها بعد أن ألبسها إياه أندريس في وقت متأخر من الليلة الماضية.

بدت متوترة عندما أخرجه من العلبة. وقالت بتهكم: «غريب كيف أصبحت المجوهرات الزائفة تبدو حقيقية هذه الأيام»، محاولة بذلك إخفاء توترها وتعاستها اللذين تملكاها وهي تضع في إصبعها خاتماً كانت دوماً تتصور أنها لن تضعه إلا بدافع الحب.. فيبقى في إصبعها إلى الأبد.

أما أندريس فأجابها بسخرية تقريباً: «أحقاً؟ ما كنت لأعرف ذلك».

تعليقه هذا نبهها، فسألته بقلق: «هذا.. ليس حقيقياً.. أليس كذلك؟».

ورأت الجواب على ملامحه، قبل أن يجيب: «إنه حقيقي!».

فابتلعت ريقها حينذاك، عاجزة عن تحويل نظراتها عن ماسة الخاتم المتوهجة البراقة.

وعندما حاولت ساسكيا الإحتجاج بأنها لا تريد تحمل مسؤولية خاتم بهذه القيمة، بادرها أندريس بالقول: «بإمكان أثينا تمييز الجواهر الزائفة على الفور».

فقالت: «إذا كان بإمكانها تمييز الجواهر الزائفة بهذه السهولة، من المؤكد، إذن، أن بإمكانها تمييز الخطوبة الزائفة».

ـ أثينا تفهم بالحقائق وليس بالعواطف.

ـ الحقائق.

أخذت ساسكيا تفكر بهذه العبارات وهي تتذكر ذلك الحديث

المختصر الذي دار بينهما والتصرفات التي قام بها، مثل العناق الذي أغدقه عليها الليلة الماضية، عالماً بأن أثينا تراهما. لم يأتِ أندريس على ذكر ما فعل، لكن ساسكيا أدركت أن تخمينها كان صحيحاً، فبعد أن أنهى تلك المكالمة التليفونية مباشرة، فتح مكيّف الهواء قائلاً بتجهم: «نحتاج إلى هواء طلق هنا».

وفيما بعد، خرج أندريس من البيت، بينما ساسكيا ذهبت إلى فراشها.. وحيدة، بعد أن تناولت قليلاً من الطعام.

***

سألت ساسكيا أندريس وهما يصعدان إلى الطائرة: «كم ستستغرق الرحلة إلى «أفروديت»؟».

ـ في هذه المناسبة، ستستغرق وقتاً أطول من العادة.

ثم تبعا المضيفة إلى مقعديهما في الدرجة الأولى. لاحظت ساسكيا ذلك وقد تملكتها قشعريرة من الرهبة، فهي لم تسافر في الدرجة الأولى قط من قبل، ولم تقم، في الحقيقة بأي شيء يجعلها تشعر وكأنها في بيتها وهي في طبقات الجو العليا كما اعتاد الأثرياء أمثال أندريس وأسرته.

ـ عندما نصل إلى أثينا، سأضطر لتركك وحدك قبل متابعة رحلتنا، فجدي هو الذي اتصل بي الليلة الماضية، إنه يريد رؤيتي.

ـ ألن يكون في الجزيرة؟

ـ ليس حالياً، حالة قلبه تتطلب منه الخضوع لفحوصات منتظمة.. من باب الإحتياط فقط، والحمد لله، إلاّ أنه سيبقى في أثينا لليوم التالي أو نحو ذلك.

ـ حذرتني أثينا أن علاقتنا لن تدوم، فهي تؤمن بأن قدركما أن تكونا معاً.



فقال أندريس: «إنها تحاول إخافتك فقط».

ثم تبدلت ابتسامة أندريس إلى وجوم في وجه المضيفة التي كانت تعتني براحتهما وإذا بساسكيا يدفعها التهور إلى جعل العطف الذي شعرت به الليلة الماضية، يتفوق على مشاعرها الخاصة، فالتفتت إلى أندريس وقالت برقة: «ولكن من المؤكد أنك إذا أوضحت لجدك طبيعة مشاعرك، لتفهّم الأمر، بأنه لا يمكنك الزواج بامرأة لا تحبها..».

ـ جدي عنيد جداً، كما أنه ضعيف صحياً، أكثر مما يظن نفسه، ومما نريده جميعاً أن يظن، فحالة قلبه..

وتنهد: «إنها مستقرة حالياً، ولكن من المهم تجنب ارتفاع ضغطه، فإذا أنا أخبرته بأنني لا أريد الزواج بأثينا دون إحضارك بديلاً عنها، سيتملكه التوتر ويرتفع ضغطه على الفور. ليس الأمر فقط هو أنني بزواجي من أثينا، كما يتمنى، سأضم أملاكها إلى أملاكنا، ولكن جدي هو أيضاً رجل يعتبر ذرية الذكور بالغة الأهمية، فأختي الكبرى لديها ابنتان، وأثينا أيضاً لديها ابنتان، وبما أنني حفيد جدي، الذكر الوحيد، فهو متلهف أن أنجب صبياً، حفيداً لابنه».

فقالت ساسكيا: «ولكن حتى لو تزوجت أثينا، فهذا لا يضمن أنك ستنجب أولاداً، أو ذكوراً فقط».

ورأت المرح يلمع في عينيه: «ساسكيا، أنت ساذجة جداً جداً بالنسبة إلى امرأة بمثل خبرتك! لا يجدر بك أن تقولي لرجل، خصوصاً إذا كان يونانياً، أنه قد لا يستطيع إنجاب صبي!».

عندما حلّقت الطائرة، تشبثت ساسكيا على الفور بمقعدها، ثم أجفلت مصدومة عندما شعرت بيد أندريس تدعك يدها، وهو يتساءل ممازحاً: «أتخافين من الطيران؟ لا يجدر بك ذلك. إنه أكثر المواصلات أماناً».

فقالت بحدة: «أعلم هذا. إنه فقط.. حسناً، الطيران فقط يبدو غير طبيعي.. وإذا..».

فساعدها على الكلام ساخراً:

- إذا كان الله يريد للإنسان الطيران، لخلق له أجنحة. حسناً، لقد حاول «إيكاروس» ذلك.

ارتجفت ساسكيا وغامت عيناها وهي تقول: «أنا أظنها دوماً قصة محزنة، خصوصاً بالنسبة إلى أبيه المسكين».

فهز رأسه موافقاً، ثم سألها: «هل أفهم من قولك هذا أنك درست الأساطير اليونانية؟».

- حسناً، لم أكن تلميذة بالضبط. لكن جدتي اعتادت أن تقرأ لي قصصاً عن الأساطير اليونانية عندما كنت طفلة، وكنت دوماً أحب هذه القصص.. رغم أنها غالباً ما كانت تبكيني.

ثم سكتت فجأة عندما أدركت أمرين، الأول هو أنهما أصبحا في أعالي الجوّ تماماً الآن، والثاني انتباهها إلى مدى ما تشعر به من سرور لإمساك أندريس يدها بيده القوية، مما جعل وجهها يحمر خجلاً فسحبت يدها من يده بسرعة، وذلك في الوقت الذي جاءت المضيفة تعرض عليهما كأساً من العصير.

وعندما أعلن الطيار أنهم على وشك الهبوط، أدهشها كيف مر الوقت بسرعة.. وكم استمتعت بالحديث مع أندريس، كما أدهشها أكثر أن تكتشف سهولة وضع يدها في قبضة يد أندريس المطمئنة والطائرة تهبط في المطار.

قال لها أندريس وهو يضع أمتعتهما على العربة: «يمكنني إما أن أدع سائقنا يأخذك إلى شقة الأسرة في أثينا، حيث ترتاحين بينما أقابل جدي، وإما إذا كنت تفضلين، أطلب من السائق أخذك في جولة



تتفرجين فيها على المدينة».

كان أندريس يرتدي بنطلوناً فاتح اللون وقميصاً أبيض قصير الكمين، مما ترك تأثيراً غريباً على أحاسيس ساسكيا الأنثوية العقلانية عادة وهي ترى عضلاته تبرز عندما رفع الحقائب عن الأرض، ثم شعرت بالدوار وهي ترى امرأة تبتسم لأندريس مغازلة، فما كان منها إلاّ أن تقدمت ووقفت بجانبه وكأنه يخصها وحدها.

ما الذي يحدث لها؟ لا بد أنها الحرارة.. نعم، هذا هو السبب. وارتاحت عندما وجدت سبباً معقولاً لتصرفاتها غير المألوفة، إذ ما من سبب يجعلها تشعر بتملك أندريس. فصباح أمس كرهته جداً واشمأزت منه.. كانت في الواقع مرتعبة من تمثيلها دور خطيبته.. وما زالت كذلك، طبعاً. فالأمر لا يتعدى التمثيل.

حسناً، من الطبيعي، بعد تعرفها على أثينا، أن تشعر ببعض العطف على أندريس. كما تأثرت بالحكايات التي حدثها بها أثناء الرحلة، تلك الحكايات التي سمعها من شيوخ أسرته اليونانية، والتي كانت مزيجاً من الأساطير والحكايات الشعبية. وقد سرّها جداً أنها لم تضطر للنضال مع حقائبها الثقيلة. فهي عادة، عند السفر، إما أن تكون مع مجموعة من الأصدقاء وإما مع جدتها..

- ساسكيا..؟

شعرت ساسكيا بالذنب وهي تدرك أن أندريس ما زال ينتظر جواباً لسؤاله، فأجابته: «آه، أفضّل رؤية بعض معالم المدينة».

- حسناً، ليس لديك الكثير من الوقت لأن طيارنا سبق وسجل رحلته.

كانت ساسكيا قد علمت أنهما سيرحلان إلى الجزيرة في طائرة خاصة صغيرة يملكها جد أندريس، وما أثر عليها أكثر من إشارة

أندريس العفوية إلى الطائرة هو أن أندريس نفسه، طيار مؤهل، إلاّ أنه قال لساسكيا: «لسوء الحظ، كان عليّ التخلي عن هذه المهنة، إذ لا يمكنني توفير الساعات التي أحتاجها للبقاء على كفاءتي وتدريبي. هذا إلى أن شركة التأمين كانت حذرة للغاية بالنسبة إلى التأمين عليّ».

ثم وضع يده على كتفها مشيراً: «من هنا».

رأت ساسكيا من طرف عينها لمحة من صورتهما في المرآة فأجفلت على الفور، لماذا هي مائلة على أندريس بهذا الشكل؟ وكأنما... وكأنما أعجبها ذلك..؟ أو كأنها تستمتع بتمثيل دور الأنثى الضعيفة أمام رجولته القوية.

ابتعدت عنه بسرعة واستقامت في وقفتها.

فقال بحدة والاستنكار في صوته: «لو رأتك أثينا تفعلين هذا لابتهجت للغاية، ثم من المفروض أننا عاشقان، يا ساسكيا، تذكري ذلك».

ـ لكن أثينا ليست هنا.

ـ لا، والحمد لله، ولكننا لا ندري من قد يرانا مصادفة، إننا الآن خطيبان غارقان في الحب... وأنت على وشك السفر إلى بيتنا لتتعرفي إلى أسرتي، ألا تظنين أنه من الطبيعي أن..؟

فقاطعته غاضبة: «أن أشعر بالتوتر والإرغام... والقلق من أن لا تجدني أسرتك مناسبة لك؟».

كما ثارت كرامتها لما يقترحه فأضافت: «ثم ماذا يفترض بي أن أفعل؟ أتشبث بك متلهفة.. خائفة من رفض أسرتك لي.. خائفة من أن أخسرك.. كل هذا لأجل..».

وسكتت وهي ترى نظرة انعدام الصبر في عينيه، وقال متجهماً: «ما كنت أريد قوله هو، ألا ترين من الطبيعي أن أحيط كتفيك بذراعي، وأن



ترغبي أنت بمثل ذلك أيضاً؟ إذ، بصفتنا عاشقين، فمن الطبيعي ملامسة ومعانقة بعضنا دوماً. أما بالنسبة لأسرتي فأنا رجل في الخامسة والثلاثين، وقد تجاوزت منذ وقت طويل العمر الذي أحتاج فيه إلى موافقة أحد على من أحب أو ما أفعله».

فقالت ساسكيا: «لكنك لا..».

ثم سكتت بعد أن أدركت ما كانت على وشك قوله، إن أندريس لا يحتاج إليها لإخباره بعدم حبه لها.

فسألها أندريس: «لكنني لا، ماذا؟».

إلاّ أن ساسكيا هزت رأسها رافضة الإجابة، وقبل أن ينزل أندريس من سيارته الليموزين، قال: «إذن فأنتِ تريدين أن تري «الأكروبوليس» أولاً؟».

وكان قد أعطى السائق إرشادات باليونانية.

ـ نعم.

ـ أخبرت «سبيروس» بأنه عليك التواجد في المطار في الوقت المحدد لرحلتنا، وهو سيعتني بك.

ثم اعتذر بلهجة رسمية قائلاً: «آسف لأن عليّ تركك وحدك».

رأت ساسكيا كيف يبدو أندريس في موطنه، وفي الوقت نفسه، كم هو مختلف عن الرجل الآخر الذي تراه. أولاً، هو الآن أطول، وبشرته رغم أن الشمس قد لوحتها، كانت أقل سمرة، أما عيناه فهما، دوماً تكشفان عن دمه الأوروبي.

* * *

تنهدت ساسكيا وهي تدير ظهرها أخيراً إلى الأكروبوليس وتسير مبتعدة. لقد استطاعت إقناع السائق بأنها ستكون في أمان تام وحدها، فاستمتعت بوحدتها وهي تتفرج على هذه الأبنية الأثرية بإعجاب رهيب.

إنما الآن حان وقت الذهاب، ورأت الليموزين واقفة حيث تتوقع، لكنها لم تر أثراً لسائقها.

كان هناك رجل واقفاً قرب السيارة، كبير السن أبيض الشعر. وقطبت جبينها وهي تلاحظ أنه يعاني من بعض الضيق، وقد ضغط على جبينه وكأنه يشعر بألم. ألقت نظرة على الشارع، فثبت لها أنه خالٍ ما عدا منها ومن الرجل العجوز، فأسرعت نحوه بحركة تلقائية، شاعرة بالقلق عليه. ثم سألته باهتمام: «هل أنت بخير؟».

شعرت بالإرتياح عندما أجابها بالإنكليزية يطمئنها: «لا شيء.. إنها حرارة الجوّ.. ألم بسيط! ربما مشيت أكثر مما يجب».

بقيت ساسكيا قلقة، فالجوّ حار والرجل لا يبدو على ما يرام، ولا يمكن أبداً تركه وحده، ولكن لا أثر للسائق أو أي شخص آخر يمكنه مساعدتها، ولم يكن لديها فكرة كم يستغرق الوقت لتصل إلى المطار.

وقالت للرجل العجوز برقة كي لا تجرح كبرياءه: «الجوّ شديد الحرارة، وسيكون متعباً جداً لك السير في مثل هذا الطقس. لدي سيارة.. و.. وسائق.. ربما بإمكاننا أن نقلك إلى حيث تريد».

وأثناء كلامها تفحصت الشارع بقلق، ترى أين هو السائق؟ سيغضب أندريس منها جداً إذا تأخرت عن الرحلة، ولكن لم يكن من سبيل للذهاب قبل أن تطمئن على الرجل العجوز.

ـ هل لديك سيارة؟

ثم أشار إلى الليموزين متسائلاً: «أهذه هي سيارتك».

ـ حسناً، هي ليست لي، إنها لـ.. شخص أعرفه، هل تسكن بعيداً عن هنا؟

وإذا بالرجل العجوز يقف فجأة ممسكاً بجنبه، وقد تحسن لونه وتنفسه وبدا بصحة أفضل ثم قال باسماً: «إنك في غاية الشهامة. لكنني



أنا أيضاً لدي سيارة.. وسائق..».

واتسعت ابتسامته، وشعرت ساسكيا وكأنه يضحك منها تقريباً.

ثم أضاف: «إنك لطيفة جداً إذ تزعجين نفسك إلى هذا الحدّ لأجل رجل عجوز».

ورأت ساسكيا سيارة تقف في آخر الشارع، لكنها بعيدة نوعاً ما. فقالت للعجوز: «هل تلك سيارتك؟ هل أذهب وأنادي لك السائق؟».

فقال العجوز على الفور: «لا، يمكنني السير إليها».

ودون أن تعطيه فرصة للرفض، تقدمت إلى جانبه وقالت برقة: «ربما ستسمح لي بالسير بجانبك حتى تصل إلى السيارة..».

فأجاب مذعناً: «ربما عليّ السماح بذلك».

استغرق وصولهما إلى السيارة وقتاً أطول مما كانت تتوقع، وعندما وصلا شعرت ساسكيا بالإرتياح حين رأت باب السيارة ينفتح ويخرج منه السائق مسرعاً نحوهما، ثم يخاطب العجوز بلهجة يونانية سريعة، ثم رأت أن الرجل العجوز تحسّن كثيراً واستقام في وقفته وراح يحدث السائق باتزان، ثم قال لساسكيا مشيراً إلى السائق: «لقد قلق علي كامرأة عجوز».

ثم أضاف بحرارة شاكراً ومحذراً: «شكراً يا عزيزتي، أنا مسرور جداً بلقائك. ولكن لا يجدر بك السير وحدك في شوارع أثينا، وأنا سوف..».

وسكت فجأة ليقول شيئاً باليونانية ثم عبس وهو يتفحص الشارع وقال لساسكيا: «يانيس» سيسير معك إلى سيارتك وينتظر هناك حتى يعود سائقك.

فقالت باحتجاج: «لا حاجة لذلك في الواقع».

ولكن العجوز ألحّ عليها بحزم.

فأذعنت وسار معها السائق التي قالت له بعد الابتعاد عن العجوز: «لا حاجة بك في الواقع للقدوم معي، وكنت أفضل أكثر لو بقيت مع مخدومك، فقد كان متألماً جداً حين رأيته في الشارع».

وتملكها الإرتياح عندما رأت سائقها يخرج من سيارة أندريس. فقالت للسائق السائر معها: «أرأيت؟ لا حاجة بك لمتابعة السير معي».

وابتسمت بارتياح، ثم قطبت جبينها قليلاً وهي تقول بقلق لسائق العجوز: «.. أعرف أن هذا ليس من شأني.. ولكن ربما يجدر بمخدومك زيارة الطبيب..».

وسكتت مترددة. فأجابها: «لقد سبق وتلقى العناية.. لكنه، ماذا أقول؟ إنه لا يأخذ دوماً بنصائح الآخرين..».

خفف هدوءه من قلق ساسكيا، وأراح ضميرها من ناحية تركها للرجل العجوز. من الواضح أنه بين أيدٍ أمينة الآن، وسائقها كان بانتظارها.

***



## ٦ ـ مشاعر حارّة

ألقت ساسكيا نظرة خاطفة على أندريس، ثم عادت تنظر من كوة الطائرة، إلى بحر «إيجين» في الأسفل وهي تكبح شهقة سرور.

كان مقطباً مشغول البال عندما التقيا في المطار، حتى أنه لم يسألها عما إذا استمتعت بجولتها في المدينة. والآن، مع كل ميل يقرّبهما من بيته وأسرته، كانت ساسكيا تشعر بتوترها يزداد، فهي طالما حلمت بقضاء إجازة في هذا الجزء من العالم، وإذا بها، وقد تحقق حلمها الآن، تشعر بتوتر يحرمها البهجة.

أرغمها جمود ملامح أندريس على سؤاله، من باب الأدب أكثر من أي شيء آخر: «هل حدث شيء؟ لا أراك سعيداً».

فازداد تقطيب أندريس على الفور، والتفت إليها بحدة يسألها ساخراً: «هل تتدربين على تمثيل دور الخطيبة المخلصة؟ إذا كنت تتطلعين إلى مكافأة إضافية فلا تزعجي نفسك».

شعرت ساسكيا بعودة شعورها البدائي بالكراهية نحوه، فأجابته غاضبة: «أنا لست مثلك، أقيّم كل ما أفعله بقدر الفائدة التي أحصل عليها من ورائه، كنت فقط قلقة من أن اجتماعك مع جدك لم يكن ناجحاً».

ـ أنتِ؟ تقلقين لأجلي؟ هنالك سبب واحد فقط لوجودك معي هنا، يا ساسكيا، وكلانا يعرفه، أليس كذلك؟

ما الذي كان يتوقعه؟ وثار غضبها، وكبحت الجواب الغاضب الذي كانت ستقوله، فهو أحضرها إلى هنا بالإبتزاز، ليستغلها لمصلحته. وقد كوّن عنها أسوأ فكرة، وحكم على أخلاقها دون أن يمنحها فرصة الدفاع عن نفسها وشرح سبب تصرفها تلك الليلة في الحانة. ومع ذلك، ما زال يظن نفسه أسمى خلقاً. وندمت على شعورها بالعطف تجاهه في بعض الأحيان... هو وأثينا، يستحقان بعضهما البعض.

لكنها، حتى وهي تفكر بغضب وانفعال، كانت تدرك أن هذا غير صحيح. فقد أحست أن أثينا تمتلك برودة أصيلة ونقصاً كلياً في الاهتمام بأي نوع من المشاعر. ثم أقرّت في نفسها أن أندريس ربما قال أشياء كثيرة لم تعجبها، إلاّ أنه يمتلك مشاعر دافئة ومحمومة للغاية.. ثم ارتجفت قليلاً حين تذكرت ذلك العناق أمام أثينا.. حتى ولو كان مجرد تمثيل إلاّ أنها شعرت باتصال شخصي عميق بينهما، ما زال تأثيره يسيطر عليها حتى الآن.

ثم سمعت أندريس يقول: «حسناً، في الحقيقة.. اجتماعنا لم ينجح».

ففتحت عينيها مندهشة بينما أندريس يتابع كلامه: «أولاً، لم يكن جدي هناك، فقد كان لديه شيء أكثر أهمية، على ما يبدو. لكنه، لسوء الحظ، لم يكلف نفسه بشرح ذلك لي، أو إرسال خبر يعلمني بعدم مجيئه. لقد انتظرته أكثر من نصف ساعة، وعلى كل حال، ترك تعليمات بإخباري، في أي وقت حضرتُ، بأنه غير مسرور مني حالياً».

ـ هل ذلك بسببي..؟ بسببنا؟

ـ جدي يعلم أن لا سبيل إلى زواجي بامرأة لا أحبها. لقد تزوج زواج حب، وكذلك والديّ حتى أن أمي هددت فعلاً بالفرار مع حبيبها



إذا لم تحصل على موافقته، ثم اعترف جدي بمدى إعجابه بأبي... لكن بعد موته. كان مسّاح أراضي، وبقي مستقلاً عن جدي.

فسألته برقة: «لا بد أنك تفتقده».

ـ كنت في الخامسة عشرة عندما مات، وقد مضى وقت طويل، وأنا، بعكسك، تعزيني معرفتي بمدى حبه لي.

ظنت ساسكيا، في البداية، أنه يتعمد الفظاظة معها، فتصلب جسمها على الفور، لكنه عندما وضع يده فجأة على يدها أدركت أنها أساءت تفسير ما قال، وأجابت بحزم وصدق: «الحب الذي غمرتني به جدتي كان أكثر من مجرد تعويض عن افتقادي حب والديّ».

كانت يده ما زالت تغطي يديها.. فأعاد إليها ذلك الإحساس الغريب الذي شعرت به منذ فترة وهي تنظر إلى يده تلك. إنها يد عريضة تتجلى فيها الرجولة، بحيث كانت كافية لتغطية يديها الإثنتين معاً، ومن نوع الأيدي التي تمنح المرأة الثقة بأن هذا الرجل سيعتني بها وبأولادها.

ما هذا الذي تفكر فيه؟ وتحركت في مقعدها باضطراب، نازعة يدها من يده قائلة: «هل أنت واثق من أنها فكرة جيدة؟ أعني إذا كان جدك لا يوافق على خطبتنا..».

سألته هذا وهي تلهث قليلاً محاولة تركيز أفكارها على حقيقة سبب وجودها بجانبه.

مضت مدة طويلة قبل أن يجيب، حتى ابتدأت ساسكيا تظن أن سؤالها قد ضايقه، إلاّ أنها أدركت أن الغضب الذي تراه على ملامحه لم يكن بسببها بل بسبب أثينا، عندما قال: «لسوء الحظ، أثينا تجعل جدي يشعر بالغرور بافتخارها بقرابة الدم، فأخوه الأكبر، جد أثينا، مات منذ سنوات، وبينما لم تسمح أثينا لأي شخص على الإطلاق، خصوصاً جدي، بالتدخل بطريقة إدارتها لمملكتها المالية، أخذت تشجعه وتشبع

غروره إلى حد أصبح حكمه عليها مغلوطاً. أمي تقول إن الحقيقة لا بد أن تظهر، ويدرك جدي، في النهاية، حقيقة مراميها الخفية».

فقالت ساسكيا بعدم ارتياح: «ولكن لا بد أنها تدرك أنك لا تريد الزواج منها».

فقد كان غريباً على طبيعة ساسكيا محاولة إرغام أحد على إنشاء علاقة معها مما جعل من الصعب عليها تفهم سبب تصرف أثينا بهذا الشكل، وأجابها أندريس متجهماً: «آه، إنها تدرك ذلك جيداً. لكن أثينا تعودت نيل كل ما تريده، وحالياً هي..».

فأكملت له: «هي تريدك».

فقال موافقاً بتثاقل: «نعم، وكلما أردت إخبارها بأنني لا أبادلها رغبتها هذه، أفكر في جدي».

ثم سكت عندما بدأت طائرتهما بالهبوط. وبدت على شفتيه ابتسامة صغيرة عندما رأى ملامح ساسكيا تنظر من النافذة إلى أسفل، وهي تشهق غير مصدقة: «مستحيل على الطيار أن يهبط في هذه القطعة الصغيرة من الأرض».

فقال أندريس مطمئناً: «آه، بلى. سيتمكن من ذلك، إنه أكثر أماناً مما يبدو».

ثم قال لها: «انظري هناك».

موجهاً انتباهها بعيداً عن قطعة الأرض تلك إلى موقع بيت أسرته الذي يخطف الأنفاس بجماله وكذلك الأراضي المحيطة به.

فقالت بتأمل: «كل شيء أخضر».

واتسعت عيناها وهي ترى الجزيرة البيضاوية الشكل، واخضرار بساتينها ونباتاتها يبرز بياض رمال الشواطىء وروعة مياه بحر «إيجه» الفيروزية اللون.



فقال أندريس: «تحتوي الجزيرة مياه غزيرة. لكنها أصغر من أن تحتمل زراعة المحاصيل وتربية الماشية، وهذا هو السبب في أنها غير مسكونة، فهي كما ترين، بعيدة جداً عن أي جزيرة أخرى.. وهي الأبعد في بحر «إيجه»».

فقالت بصوت خافت: «إنها رائعة، كقطرة لؤلؤ».

ضحك أندريس، ولكن كان في عينيه شعور جعل وجنتيّ ساسكيا تحمرّان قليلاً وهو يقول بهدوء:

ـ هذا ما كانت جدتي تصفها به.

عندما هبطت الطائرة على المدرج، شهقت ساسكيا مدركة أن أندريس تعمّد صرف ذهنها عن هبوط الطائرة الوشيك. يمكنه أن يكون بالغ الرقة عندما يشاء، وساحراً وسهل التعامل معه. وتساءلت، بشيء من الكآبة، ماذا سيكون رأيه فيها لو أنه لم يعرفها في مثل تلك الظروف في الحانة. وما لبثت أن سيطرت على أفكارها بحزم، محذرة نفسها من أن الاستغراق في تصورات وأحلام يقظة سخيفة سيزيد الأمور سوءاً.

بدت الكآبة في عيني أندريس وهو يقود ساسكيا نحو مخرج الطائرة، فهناك ثمة تناقض كبير بين الطريقة التي أصبح يرى بها ساسكيا الآن، والطريقة التي رآها بها في المرة الأولى. ولراحة باله واطمئنانه، تمنى لو بقيت كما كانت حين رآها في المرة الأولى، لأن هذا الضعف الذي تجاهد لإخفائه بكل عزم وكبرياء، قد أثّر في نفسه بشكل لا يمكن أن تُحدثه برودة مشاعر امرأة كأثينا. كانت ساسكيا تملك دفئاً وإنسانية وأنوثة مما جعل رجولة أندريس تفيض وتستجيب بشكل بالغ الخطورة.

حاول أندريس، متجهماً، ألاّ يدع نفسه يفكر في شعوره عندما عانقها. فقد فعل ذلك في البداية بشكل غريزي عندما استشعر وجود أثينا في الشقة، من خلال رائحة عطرها المخيفة الطاغية. أما كيف

حصلت أثينا على المفتاح، فهذا ما لا يعرفه. اشتبه في أنها احتالت، بشكل ما، وأخذته من جده. لكن العناق الذي أغدقه على ساسكيا كوسيلة لتأكيد نبذه لأثينا أرغمه، بشكل غير متوقع ولا مألوف، على الإعتراف.. بشيء ما زال يحاول جاهداً إنكاره.

لم يشأ على الإطلاق أن يرغب في ساسكيا، وحتماً لم يشأ أيضاً الشعور بهذه الرغبة الدائمة في حمايتها وطمأنتها.

كان الطقس في مدينة أثينا حاراً جافاً، إنما هنا في الجزيرة فالهواء رقيق منعش عطر ومثير للبهجة، كما وجدته ساسكيا وهي تظلل عينيها من وهج الشمس وهي تخرج من المطار، ونظرت بشيء من التردد إلى الشخصين اللذين كانا واقفين لاستقبالهما.

قال أندريس بصوته الأجش، وهو يناولها النظارات الشمسية: «خذي، يا حبيبتي، لقد نسيت هذه».

مما زاد في اضطرابها ولكن ليس بقدر ذلك الاضطراب الذي شعرت به وهو يشدها إليه بذراعيه الدافئتين الثقيلتين ويهمس بشكل مسموع: «شمسنا قاسية جداً على عينيك الجميلتين».

شعرت ساسكيا بأصابعها ترتجف وهي تأخذ منه النظارات. لاحظت أن شعار المصمم مطبوع عليها وهذا يعني حتماً أنها أغلى ثمناً من أي نظارات شمسية استعملتها قط. وعندما استعادها أندريس منها ووضعها على عينيها برفق، اكتشفت أنها تناسبها تماماً. مال نحوها إلى الأمام وهمس في أذنها بهدوء: «تذكرتُ أننا لم نشتر واحدة في لندن وأدركت أنك ستكونين بحاجة إلى نظارات».

وكانت ذراعه ما زالت حول جسمها وذراعه الأخرى حول كتفيها وكأنه يريد احتضانها أكثر.

وأدركت ساسكيا أنهما على هذه الحال سيبدوان حميمين للغاية



لمن يراهما، وهذا هو السبب ـ دون شك ـ في إعطائها النظارات واحتضانها بهذا الشكل.

حسناً، بإمكان الاثنين القيام بتلك اللعبة، ودون أن تفكر في التعقيدات الناتجة عما ستفعله، وضعت ذراعها حول عنقه رافعة وجهها إليه وهي تجيبه متمتمة: «شكراً، يا حبيبي، أنتَ حساس للغاية».

أدركت، مسرورة، أنها أدهشته. رأت ذلك في عينيه، كما رأت شيئاً آخر أيضاً، شيئاً خطيراً جعلها تنزع يدها عن عنقه بسرعة، متراجعة إلى الخلف إلاّ أنه لم يسمح لها بالابتعاد كثيراً، فقد كان ما يزال ممسكاً بيدها، وهو يقودها نحو المرأتين المنتظرتين، ثم قال للمرأة الأكبر: «هذه ساسكيا خطيبتي يا (ماما)».

أخذت ساسكيا تنظر إليها بحذر، مدركة أنها لو كانت هي وأندريس مخطوبين حقاً ومغرمين ببعضهما البعض، لتملكها القلق وهي تنتظر لترى إن كان بإمكانها عقد رباط حقيقي مع والدة أندريس. كانت الأم تشبه أثينا كثيراً رغم أنها، طبعاً، أكبر سناً. لكن التشابه تلاشى عندما نظرت ساسكيا في عينيها ورأت ذلك الدفء الذي تفتقده أثينا. كما بان على والدة أندريس رقة وحلاوة وخجل تقريباً وأدركت، ساسكيا، بالبديهة، أنها امرأة إذا أحبت، تحب رجلاً واحداً، وإذا فقدته، لبست الحداد عليه إلى الأبد.

وبادرت ساسكيا بالقول: «يسرني التعرّف إليك، يا سيدة لاتيمر».

ولكن والدة أندريس هزت رأسها على الفور، مؤنبة: «ستكونين كنّتي يا ساسكيا، ولهذا عليك رفع الكلفة معي».

ثم مالت إلى الأمام واضعة يدها على ذراع ساسكيا وأضافت: «اسمي هيلينا، أو يمكنك، إذا شئت مناداتي (ماما) كما يفعل أندريس وابنتاي».

ثم نظرت إلى ابنها وقالت بحرارة: «إنها جميلة، يا أندريس».

فوافقها أندريس باسماً: «وحتماً أنا أراها كذلك، يا ماما».

فأضافت الأم برقة: «عنيتُ ظاهراً وباطناً».

فأجابها أندريس بالحماس والشعور نفسها: «وأنا عنيت ذلك أيضاً».

فحادثت ساسكيا نفسها وهي ترتجف: «يا للسماوات.. إنه ممثل رائع حقاً. فلو أنها لم تكن تعلم شعوره الحقيقي نحوها، لكانت تلك النظرة الشغوف الحانية التي رمقها بها الآن فعلت فعلها.. من الممكن أن..».

ثم راحت تفكر ساخطة بأن رجلاً مثله يجب أن يحاذر من منح امرأة ضعيفة نظرة كهذه. ونسيت، للحظة، أن أندريس، حتى الآن، يعتبرها أي شيء ما عدا أنها ضعيفة.

وتابع أندريس تقديم ساسكيا إلى صغرى المرأتين: «وهذه أوليمبيا أختي».

ورغم أنها سمراء كأمها، فقد كانت أيضاً ذات عينين فاتحتي اللون وابتسامة مرحة جعلت ساسكيا تشعر نحوها بالحرارة على الفور، وقالت أولمبيا بعطف: «يا للسموات، الحرّ شديد هنا، لا بد أن ساسكيا المسكينة تذوب الآن».

فقال لها أندريس: «كان بإمكانكما انتظارنا في البيت، وإرسال سيارة «اللاندروڤر» مع السائق».

فقالت أوليمبيا وهي تهز كتفيها رافضة: «لا، هذا غير ممكن».

صدر عن الأم صوت احتجاج خفيف، فنظرت ابنتها إليها بقلق وهي تقول: «حسناً، عليه أن يعرف..».

فعبس أندريس وسأل مستفسراً: «عليّ أن أعرف ماذا؟».



فقالت الأم بتعاسة: «أثينا هنا، جاءت منذ فترة وهي..».

فعاد أندريس وسأل: «وهي ماذا؟».

فتابعت أمه تقول: «قالت إن جدك قد دعاها».

فقالت أوليمبيا غاضبة: «إنك تعرف ما يعني هذا، أليس كذلك يا أندريس؟ هذا يعني أنها ألحت على جدي ليطلب منها البقاء معنا، وهذا ليس كل شيء..».

فقالت لها أمها باستياء: «أوليمبيا..».

لكن أوليمبيا رفضت السكوت فتابعت: «لقد أحضرت معها ذلك الرجل المقزز للنفس «أريستوتل»، قائلة إنها تقوم بعمل هام وإنها تحتاجه فهو المحاسب».

وأضافت أوليمبيا بالقول: «إذا كان الأمر هاماً إلى هذا الحد، من أين وجدت الوقت للمجيء إلى هنا؟ آه، كم أكرهها! هذا الصباح راحت تتكلم وتتكلم عن مدى اهتمام جدي بسير العمل وكيف سألها بإلحاح النصيحة لأنه خائف من أنك..».

واحتجت الأم مرة أخرى: «أوليمبيا..» وهذه المرة سكتت أوليمبيا، ولكن لثوانٍ قليلة فقط، ثم انفجرت بعدها وكأنها لم تعد تحتمل، فقالت: «الذي لا أفهمه هو لماذا جدي مأسور بها بهذا الشكل، إن ما تفعله واضح، فهي فقط تريد الحصول عليك، يا أندريس، لأنك ترفض أن تتزوجها».

فقالت الأم تعتذر لساسكيا: «أنا آسفة لهذا. إنه شيء غير سار لك، لم تتعرفي إلى أثينا بعد، أنا أعرف..».

فقاطعها أندريس شارحاً لأمه وأخته: «لقد تعرفت عليها ساسكيا. فأثينا استطاعت، بطريقة ما، الحصول على مفتاح شقتي في لندن».

فقالت أوليمبيا لساسكيا: «إنها سيئة للغاية، أليس كذلك؟ أنا

أسميها (العنكبوت الأرملة السوداء)».

فقال أندريس مؤنباً بحدة: «أوليمبيا!».

فقالت له وهي تنظر إلى أمها: «ماما لم تخبرك بكل شيء بعد. لقد أصرت أثينا على الاستيلاء على الغرفة التي أعدتها أمي لساسكيا، وهي الغرفة التي بجانب جناحك..».

فقاطعت الأم ابنتها بحزن: «حاولت منعها، يا أندريس، ولكنك تعرف عنادها وقالت لي إن بإمكان ساسكيا أخذ الغرفة الكائنة آخر الممر. أنت تعرفها، إنها الغرفة التي نستعملها عند الحاجة، حتى أنه لا يوجد سرير فيها جيد. عليك أن تقول شيئاً لأثينا يا أندريس. دعها تفهم أنه ليس بإمكانها.. ليس بإمكانها إشغال تلك الغرفة لأن ساسكيا ستستعملها».

فقال أندريس معارضاً أمه وهو يحتضن ساسكيا بشدة ويضمها إليه حتى أخفى وجهها في صدره: «لا، لن تستعملها. ساسكيا ستشاركني غرفتي.. وسريري..».

أحست ساسكيا بالصدمة تستولي عليهما رغم عدم استطاعتها رؤية وجهيهما. لقد أدركت الآن سبب احتضانه لها بهذه الشدة.. ذلك ليمنع أي شخص آخر من رؤية ما يرتسم على وجهها من تعبير خائف، أو يسمع الاستنكار المذعور الذي حاولت إظهاره، فاختنق في قميصه.

ليس هناك ما يجعلها تقبل شيئاً كهذا، لكن محاولاتها لقول هذا لأندريس زادت من التصاقها به وهي تحاول النظر إلى وجهه.

تجاوبه مع محاولاتها جذب انتباهها، فجعل الوضع أسوأ، لأنه عندما أحنى رأسه وكأنه ملهوف إلى سماع ما تريد قوله، احتكت شفتاها بذقنه.

لا بد أن امتزاج الحرارة بالصدمة هو ما أرسل تلك المشاعر تنساب



في كيانها، وجعلها تشعر بالدوار.

وبانت الصدمة على وجه أوليمبيا التي تساءلت بصوت خافت متلعثمة: «ساسكيا ستشاركك غرفتك؟».

وشعرت ساسكيا بصدمة أوليمبيا وفكرت بأن الحرج منع أمّه عن الكلام.

فقال أندريس ملاطفاً أخته: «إننا مخطوبان.. وقريباً سنتزوج..».

ثم أضاف، بلهجة أكثر خشونة وتملكاً: «ساسكيا لي، وأريد أن يعلم هذا كل إنسان خصوصاً أريستوتل. لا أدري كيف بإمكان أثينا أن تحتمله».

فقالت أوليمبيا وهي ترتعش: «إنه كالحية، يا ساسكيا، بارد لزج، ذو عينين صغيرتين مخيفتين ويدين رطبتين..».

فقال أندريس بجفاء: «أثينا تحتمله لأنه ذو مهارة (خلاّقة) في المحاسبة».

فسألته أوليمبيا بحدة: «أتعني أنه غير نزيه!».

فقال أندريس محذراً أخته: «أنتِ لم تسمعي هذا مني».

ثم قادهن نحو سيارة «اللاندروڤر» المنتظرة.

أثناء كلامهم، كان السائق قد حمّل أمتعة أندريس وساسكيا، وعندما أمسك بالباب ليفتحه للنساء الثلاث، سمعت ساسكيا أندريس يسأله عن أسرته، مصغياً باهتمام بينما أخبره السائق مزهواً عن ابنه الذي بات في الجامعة.

وقالت أوليمبيا لساسكيا: «لم يكن جدي مسروراً أبداً عندما قال أندريس إنه يريد استعمال المال الذي تركه له أبونا ليساعد في دفع نفقات تعليم موظفي منزلنا».

فاعترضت أمها قائلة: «أوليمبيا، أنت لا تنصفين جدك تماماً بقولك هذا».

فسألتها ساسكيا: «هل فعل أندريس هذا؟».

رافضة بعناد الاعتراف بتأثرها بحبه للإحسان.

هل كان يعني حقاً ما قاله عن أنها ستشاركه غرفته؟ ولكن لا يمكنه فعل ذلك، طبعاً. إنها، شخصياً، لا تهتم بالمكان الذي تنام فيه.. حتى ولو كانت غرفة دون سرير وغير مستعملة، طالما تستعملها وحدها.

قال أندريس: «لقد أمضينا يوماً شاقاً وأظن أن ساسكيا تريد أن ترتاح قبل العشاء».

وتوقفت السيارة بهم في فناء مبلّط تتوسطه نافورة ترسل الماء ممزوجاً بالموسيقى إلى أعلى ليتناثر رذاذاً على أرض الفناء. وقالت الأم: «سأخبر الجميع بألاّ يزعجوك ولكن ربما تريدين يا ساسكيا أن تشربي أو تأكلي شيئاً قبل ذلك».

وقبل أن تقول ساسكيا شيئاً، أجاب أندريس عنها: «سأهتم أنا بذلك».

ثم أمسك بمرفق ساسكيا قائلاً لها بصوت رقيق اشتبهت في أنه يتضمن تهديداً: «من هنا، يا ساسكيا..».

***



## ٧ ـ شكوك مستحيلة

ـ لا يمكنني النوم معك في هذه الغرفة.

شعرت ساسكيا بنفسها ترتجف عندما قادها أندريس خلال ممرات معقدة. كانت تعلم بأنه لا بد أحس بتوترها، لكنها استطاعت، بشكل ما، السيطرة على مشاعرها حتى أصبحا داخل غرفة أنيقة فسيحة فأغلق الباب خلفهما بعزم.

لكن مزاجها الآن لا يسمح لها بالإعجاب بما يحيط بها من أناقة وجمال. واستدارت لتواجه أندريس بحزم: «هذا ليس جزءاً من الاتفاقية».

فأجابها بغضب: «الإتفاقية تقول إن عليك تمثيل دور خطيبتي، وهذا يتضمن كل ما يجب فعله ليصدّقوا التمثيل».

فاحتجت ساسكيا بعنف: «لن أنام هنا معك. أنا لا.. أنا لم..».

ولم تستطع النظر إلى السرير الضخم المزدوج لأن الذعر تملكها مبدداً كل تعقل فيها. لقد عانت الكثير، وهي الآن متعبة وقد أرهقها الحر وهي خائفة جداً جداً، وأحست بأن مشاعرها تكاد تدمرها.

أشاحت بوجهها بسرعة عندما سمعته يقول بواقعية: «سأذهب لأستحمّ، وإذا شئت نصيحتي إفعلي مثلي، فإذا شعرنا، نحن الإثنين، بأننا صرنا أهدأ وأكثر اتزاناً، يمكننا، حينذاك، مناقشة الوضع بهدوء».

الاستحمام! ومع أندريس! وحدقت ساسكيا إليه ذاهلة غير

مصدقة. أتراه يعتقد حقاً أنها سوف.. أنها قادرة على..؟

وقال لها مطمئناً بعد أن رأى ذهولها: «يمكنك أن تستعملي الحمام أولاً».

أولاً! إذن فهو لم يكن يعني.. فشعرت بارتياح سرعان ما تبعته ثورة غضب جعلها تنفجر قائلة: «لا أريد استعمال الحمام على الإطلاق. ما أريده هو أن أكون في بيتي، بيتي أنا، في غرفتي وفي حمامي، ما أريده هو التحرر من.. من هذه المهزلة السخيفة.. ما أريده..».

واضطرت إلى السكوت عندما كادت مشاعرها تدمرها.. لكنها لم تستطع إلا معاودة الإنفجار بسيل من الكلمات الغاضبة: «كيف جعلت أمك وأختك تظنان أنني.. أننا..؟».

وهزت رأسها، عاجزة عن التعبير بالكلمات المناسبة عما تريد قوله.

لكن أندريس لم تراوده مثل هذه الشكوك فأكمل لها كلامها: «أننا عشيقان؟ وماذا عليهما أن يظنا غير ذلك؟ إنني رجل، يا ساسكيا، ويُفترض أننا خطيبان. وإذا كنّا كذلك حقاً، أتظنينني كنت أصبر عنك لحظة..».

فقاطعته بتهكم: «أتريد تذوق البضاعة قبل شرائها؟ طبعاً، رجل مثلك يفعل ذلك لكي يتأكد..».

وأجفلت وهي ترى كيف كان ينظر إليها، والغضب المرّ في عينيه، ثم أجابها بحدة: «هذا النوع من التعليقات نموذجي من امرأة مثلك تؤجّل كل شيء ريثما يتم الاتفاق على المال. حسناً، دعيني أخبرك...».

لكن ساسكيا لم تدعه ينهي كلامه، راغبة في الدفاع عن نفسها:



«أنت الذي قلتَ..».

فقاطعها: «ما قلته، عندما قاطعتني، هو أنني لو كنت أحبك حقاً، لما استطعت حرمان نفسي، أو حرمانك، من بهجة إبراز ذلك الحب بأكثر الطرق الجسدية تقارباً... ما كانت هناك طريقة تجعلني أتحمل ابتعادك عن نظري أو ذراعي، وخصوصاً فترة الليل بطوله!».

راحت ساسكيا ترتجف عندما أصابت كلماته وتراً حساساً في داخلها.. وتراً أثار الشوق في صميم أنوثتها مما جعلها على حافة البكاء دون أن تدري. وسرى الذعر في كيانها فبدّد كل تعقل فيها، وشعرت بقلبها يخفق بحدة ولهفة.

فتحت فمها لتخبر أندريس بأنها غيّرت رأيها، وأنها تريد الذهاب إلى بيتها، وأنها غير مستعدة للبقاء هنا أكثر من ذلك، مهما حاول ابتزازها، لكن ذعرها لم يكن ناشئاً عن خوفها منه فقط.. إنما، الآن كانت نفسها هي التي تخافها، فالمشاعر التي بدأت تحس بها، والأفكار التي أخذت تتملكها أخافتها. لم تستطع أن تدع نفسها تنجذب إليه، فهو ليس من النوع الذي تحبه بين الرجال على الإطلاق. لقد أبغضتها الطريقة التي عاملها بها، وكيف أنه أساء الحكم عليها. لكنها لم تستطع التخلص من مشاعر الشوق التي شعرت بها نحوه عندما تحدث عن رغبته في المرأة التي يحبها.

ـ لا أستطيع..

وسكتت عندما رفع أندريس يده محذراً ليسكتها فسمعا طرقاً على الباب.

انتظرت ساسكيا، وقد جف حلقها، بينما ذهب أندريس ليفتح الباب. عندئذٍ أدخل السائق حقائبها. لم يكن سائق اللاندروفر.. وإنما رجل آخر أصغر جثة. راح أندريس يتحدث إليه باليونانية ويبتسم له

بحرارة، ثم يضحك متفكهاً بينما الرجل العجوز ينظر إلى ساسكيا، ثم يربت على كتفه بابتسامة عريضة. وعندما رحل الرجل سألت ساسكيا أندريس: «ما الذي كنتما تتحدثان عنه؟».

ـ كان «ستاڤروس» يقول إن الوقت قد حان لكي أتزوج.. إنه لا يجدر بي تضييع الوقت لكي أنجب صبياً.

شعرت بوجهها يحمرّ إلى جذور شعرها، وراحت تنظر إلى كل مكان ما عدا ذلك السرير الواسع القائم في وسط الغرفة. رغم مكيّف الهواء في الغرفة، شعرت بالإختناق، وعدم القدرة على التنفس.. وأنها وقعت في الشرك وتتلهف للفرار. فقال أندريس بلهجة عملية مقاطعاً أفكارها وهو يشيح عنها: «أنا داخل إلى الحمام».

عندما توارى، نظرت ساسكيا إلى الباب الذي المؤدي إلى الممرّ، وتمنت لو أن لديها الشجاعة لكي تخرج وتطلب إعادتها بالطائرة على الفور إلى مدينة أثينا، لكنها إذا فعلت ذلك ستفقد وظيفتها حتماً... سيفعل أندريس هذا بكل تأكيد.

حاولت بشدة تركيز أفكارها على شيء آخر، غير وضعها المخيف هذا... كرهت ما يفعله أندريس بها رغماً عنها. كما كرهته هو نفسه.. ولكن.. هل هذا صحيح؟

ولم تستطع الإجابة على سؤالها بصدق، فأخذت تتفحص المنظر القائم خلف البابين الواسعين اللذين يؤديان إلى فناء مسوّر يحيط بحوض سباحة مغر ملحق به بحيرة مياه معدنية فوارة.

كانت واحات صغيرة من النباتات الخضراء قد شقت طريقها عبر البلاط لتحدّ من قسوة الشمس الساطعة بينما كانت مظلات كبيرة تخفف من تلك الأشعة وتسمح بالإستمتاع بها. بدا المشهد بأجمعه وكأنه مأخوذ عن كتيّب يصف إجازة جميلة استثنائية، إجازة من ذلك النوع



الذي لا تستطيع ساسكيا إلا النظر إليه بحسرة، لأنه بعيد جداً عن متناولها. إنما حالياً، المكان الوحيد الذي كانت تريده، هو بيتها الآمن.

لا يمكن لأندريس حقاً أن يتوقع منها مشاركته الغرفة، فكيف بالسرير.. لا يمكنها أن تفعل هذا. لا تريد.. إنها..

ـ الحمام خالٍ..

وجمدت في مكانها. كانت مستغرقة في أفكارها بحيث لم تدرك أن أندريس بات معها في الغرفة.. واقفاً خلفها مباشرة تفوح منه رائحة النظافة. ثم قال لها: «سأذهب وأحضر إليك طعاماً خفيفاً، فالعشاء لن يجهز قبل عدة ساعات، وإذا شئت نصيحتي، حاولي أن ترتاحي قليلاً، فاليونانيون يتأخرون في تناول الطعام وكذلك في الذهاب إلى النوم».

فانفجرت قائلة بخوف: «لكنني ظننت أننا سنحصل على غرفتين منفصلتين، ما كنت لأقبل بالمجيء إلى هنا قط لو علمت بأنني..».

ثم شعرت به يقترب منها ويحاول لمسها، فصاحت مستنكرة: «لا! إياك أن تجرؤ على لمسي».

لقد أحست بأنها لا تستطيع احتمال لمساته.

وبغضب بالغ، اندفعت ساسكيا نحو الباب، لكن أندريس استطاع أن يسبقها إليه ساداً عليها الطريق حيث أمسك بها وانغرزت أصابعه في لحمها الطري، وقال بشدة: «ماذا تظنين نفسك تفعلين، بحق الجحيم؟ ما الذي تدّعين أنك تخافين منه بالضبط؟ هذا؟ امرأة مثلك..».

وشهقت ساسكيا وارتجفت من رأسها إلى أخمص قدميها عندما التفت ذراعاه حولها وأطبق عليها يعانقها.

عانقها بشدة وبشعور محموم غاضب مما جعلها تشعر بالضعف. وأخذ الدم يهدر في رأسها قد أدركت عدم قدرتها على التصرف إزاء

خبرته العنيفة المتغطرسة هذه.

ـ كفى تمثيلاً لدور البريئة الساذجة.

سمعته ساسكيا يتمتم بذلك، وهو يشدّها إلى جسده أثناء استناده إلى الباب خلفه جاراً إياها معه، ويده الأخرى تلف كتفيها، وشهقت ساسكيا وقد سرى الدم حاراً في جسمها، ورغم غضبها شعرت بفضول أنثوي جعلها دون إدراك منها تبادله العناق إنما بخجل وتردد.

ـ أندريس، هل أنت في الداخل؟ أنا أثينا.. أريد أن أتحدث إليك.

جمدت ساسكيا وهي تسمع صوت أثينا من خلف الباب.

لكن أندريس لم يظهر عليه أي دليل على الاضطراب أو الإرتباك. إنما فتح الباب وما زال ممسكاً بساسكيا يضمها إليه بقبضة لم تستطع الفكاك منها، وقال لأثينا بخشونة: «ليس الآن، يا أثينا. أنا وساسكيا مشغولان كما ترين».

فقالت بحدة وغضب وهي ترمق ساسكيا بنظرة حاقدة: «هل هي معك؟ لماذا هي ليست في غرفتها؟».

فأجاب ببرودة: «إنها في غرفتها فعلاً. غرفتي هي غرفة ساسكيا، وسريري.. سريرها..».

فقالت أثينا بصوت خافت: «لن يسمح لك جدّك قط بالزواج بها».

لكن أندريس أغلق الباب متجاهلاً إلحاحها.

أما ساسكيا فقالت بلطف: «دعني، يا أندريس».

وكانت عاجزة عن احتمال النظر إليه، أو التفكير في استجابتها له ومبادلته العناق.

ونظر إليها أندريس هازئاً: «حسناً، يا ساسكيا. هذا يكفي، أنا أعرف أنني أردت منك تمثيل دور الخطيبة المخلصة، ولكن هذا لا يعني



الإدعاء بأنك بريئة لم تعرف قط..».

وسكت فجأة مقطباً جبينه، مفكراً في هذه الشكوك غير المرغوب فيها التي خطرت بباله وهو يرى وجهها الشاحب وعينيها المضطربتين.

حتى عندما تركها، بقيت ترتجف من رأسها حتى أخمص قدميها.. مما جعله يقسم، في تلك اللحظة، على أنه عندما أخذها بين ذراعيه وعانقها.. كان أول رجل يجعلها تشعر بهذا الشكل..

بقي لحظة يتأمل ما كان يفكر فيه ويشعر به، ثم ما لبث أن نبذ شكوكه هذه بحزم. يستحيل أن تكون ساسكيا عديمة الخبرة، لا يمكن ذلك أبداً. كان يونانياً بما فيه الكفاية لكي يعتبر أن نعمة الطهارة هي إحدى أكبر النعم التي يمكن لامرأة تقديمها إلى من تحب. لكن تراثه الثقافي من والده الإنكليزي ودراسته جعلاه يسخر أو حتى يرثي لهذه المفاهيم المهجورة. بصفته رجلاً ناضجاً، يتقبل ويحترم حق المرأة في اختيار تصرفاتها بمشاعرها. لكنه يعلم أيضاً أنه، بصفته حبيباً أو زوجاً، لديه نزعة إلى التملك تحتوي على حنين عميق ورغبة محمومة في أن يكون شريك حبيبته الوحيد، وشوق في نفسه إلى تعليمها ما هو معنى الحب. وحالياً، رأى في ردة فعل ساسكيا ما يلهب مشاعره التي كان يجاهد للسيطرة عليها.. مشاعر هي رغبة بدائية لرجل يوناني!

وقطعت ساسكيا أفكاره مكررة وهي عاجزة عن الحركة: «أنا لن أنام في هذه الغرفة معك. أنا..».

وراح أندريس يفكر متجهماً: إذا كانت ساسكيا تمثل، فهي تستحق الأوسكار. ولكن آخر ما كان بحاجة إليه هو خطيبة يبدو عليها الرعب لكونها معه، عليه تهدئة روعها، وتهدئة أعصاب كل منهما.

فقال لها بهدوء: «تعالي معي».

أمسك بيدها وقادها إلى أحد الأبواب المؤدية إلى خارج الغرفة.

عندما فتحه، رأت ساسكيا الغرفة التي خلفه مؤثثة بأحدث الأجهزة التقنية. ثم سألها: «هل تشعرين بتحسّن إذا قلت لك إنني أنوي النوم هناك؟».

فهمست وهي ترتجف: «هناك... ولكنه مكتب، لا يحتوي على سرير».

ـ يمكنني إحضار إحدى الكراسي الكبيرة من قرب حوض السباحة والنوم عليه.

ـ أتعني..

وكانت حذرة.. كارهة تصديقه أو الوثوق به. وأومأ برأسه متجهماً، متسائلاً عما يجعله يسمح لضميره بإرغامه على مثل هذا الوضع السخيف. كان يعلم أنها لا يمكن أبداً أن تكون تلك الساذجة الخائفة البريئة التي تتظاهر بأنها عليه.

وقالت ساسكيا بتردد: «ولكن لا بد أن يلاحظ أحد إذا أنت أحضرت الكرسي تلك».

فأجاب: «غرفتي فقط لها باب يفتح على منطقة البحيرة هذه. إنه موقعي الخاص. أما البحيرة العامة التي يستعملها الجميع فهي تقوم في الناحية الأخرى من الڤيلا».

بحيرته الخاصة؟ وجاهدت كيلا يؤثر عليها ذلك. ولكن يبدو أنها لم تبذل جهداً كافياً، ونظر أندريس إليها بفارغ الصبر: «أنا لا أحاول التباهي بذلك، يا ساسكيا. فأنا أكره هذا النوع من التباهي المنافي للرجولة. قد يكون أبي مليونيراً لكنني لست كذلك».

لم يكن هذا صحيحاً تماماً، لكن شيئاً في عيني ساسكيا جعله يريد إقناعها بأنه ليس من الشبان العابثين العاطلين عن العمل، ولا عمل له



سوى الجلوس بجانب بركة السباحة طوال النهار.

ثم أضاف أندريس بلطف: «كل ما في الأمر أنني أحب السباحة في الصباح الباكر، عندما أكون هنا في الڤيلا. وقد كانت شقيقتاي تتذمران من أنني أوقظهما من النوم باكراً، ولهذا أنشأت هذه البركة لاستعمالي الخاص، فالسباحة تساعد ذهني على الصفاء بقدر ما تسمح لي بالتمرين الجسدي».

كانت ساسكيا تتفهم كلامه، فهي تشعر بالشيء نفسه بالنسبة إلى المشي، حيث كانت تخرج للتمشي كلما تملكها القلق، أو واجهتها مشكلة بحاجة إلى حل.

أخذ ينظر إليها وهو يتساءل عابساً، عما يجعله يتحمل كل هذا الانزعاج في سبيل تهدئتها وطمأنتها، وراح يفكر في ذلك الخفقان القلق الذي شعر به عندما ضمها إليه، بأنه حتماً زائف ولا سبيل إلى الظن بغير ذلك، تماماً كتلك العينين الكبيرتين المتسعتين اللتين تراقبانه بحذر.

عضت ساسكيا شفتها وهي تحوّل نظراتها عنه. وبات واضحاً أن أندريس يعني ما يقول حقاً بالنسبة إلى نومه في المكتب، إنما حالياً لم يكن ترتيب أمر النوم في طليعة اهتماماتها بقدر ما هو اهتمامها بما كان يحدث أثناء يقظتهما.. أضف أنها كانت تفكر بما شعرت به وهو يعانقها... هل يعقل أن تكون، في أعماقها، قد أرادته أن يضمّها؟ إذ من المستحيل حدوث ذلك من دون وعي منها، ولكن ما هو تفسير الطريقة التي تجاوبت بها معه؟ وألح عليها ضميرها بالجواب، إلاّ أنها سمعت أندريس يقول بجفاء: «حسناً، والآن بعد أن حللنا هذه المشكلة، لديّ بعض الأعمال عليّ القيام بها. لِمَ لا تأكلين شيئاً ثم ترتاحين؟».

فقالت: «عليّ أنا أخرج أمتعتي من الحقائب».

- إحدى الخادمات ستفعل ذلك أثناء راحتك.

وعندما رأى تعابير وجهها، قال بلطف: «إنهم مستخدمون عندنا، يا ساسكيا. يعملون لتحصيل معيشتهم تماماً كما نعمل، أنت وأنا، لتحصيل معيشتنا».

ثم تركها وخرج.

***

- آه، آسفة. أنا لم أوقظك، أليس كذلك؟ لكن وقت العشاء سيحين قريباً ففكرت أنك قد تريدين الاستعداد لذلك.

عندما استيقظت ساسكيا تماماً وجاهدت لكي تجلس في الفراش، رأت أن زائرتها غير المتوقعة هي أوليمبيا.

الابتسامة الودية التي بدت على وجه أوليمبيا جعلت ساسكيا تشعر بالحرارة تجاهها، ثم أضافت أوليمبيا: «في العادة، نرتدي ملابسنا هنا في الطابق الأسفل، وليس في الأعلى. لكن أثينا ستجاهد لتبدو مميزة».

فسألت ساسكيا بلهفة: «أين..؟».

لكنها لم تكمل سؤالها، إذ أكملت أوليمبيا عنها.

- أين أندريس؟ لقد اتصل جدي هاتفياً طالباً الحديث مع أمي ثم أراد التكلم مع أندريس، وربما ما زالا يتحدثان. وعليّ تنبيهك إلى أن أندريس ليس في مزاج جيد.

وعندما رأت أوليمبيا الاهتمام في عيني ساسكيا، أسرعت تطمئنها: «آه، هذا ليس بسببك بل بسبب أثينا. لقد أحضرت محاسبها معها وأندريس غاضب للغاية، فهو لا يطيقه، ولا نحن، لكن أثينا أكدّت أن جدي دعا «أريستوتل» شخصياً».



عندما توجهت أوليمبيا لتنير الغرفة، أنزلت ساسكيا قدميها إلى الأرض، فقد نامت بكامل ملابسها ممّا جعلها تشعر الآن بالقذارة وعدم النظافة، ثم فكرت في أن جلوسها إلى مائدة العشاء مع أندريس وأثينا لم يكن شيئاً تنتظره بشوق، لكن أوليمبيا على حق في شيء واحد، وهو أنه عليها هي أيضاً أن تبدو مميّزة، ولا شك أن أندريس يتوقع هذا منها. إذ ليس لديها عذر في عدم القيام بذلك وحقيبتها ملأى بالملابس الجديدة التي اشتراها لها أندريس، فقالت أوليمبيا:

- ماريا أفرغت حقائبك. وقد ساعدتها أنا، لقد أعجبني ذلك الثوب الأسود الذي أحضرته معك، ملابسك رائعة. بقي أندريس يتردد إلى هنا محذراً بعدم إحداث ضجة كيلا تستيقظي. إنه يهتم كثيراً لأمرك.

ثم رمقت ساسكيا وقالت بهدوء ودفء: «أنا وأمي مسرورتان جداً لأنه تعرف إليك. نحبه طبعاً، لكننا ابتدأنا نخاف من استسلامه لأثينا لأجل جدي.. ونحن نعلم أنه لن يستطيع أن يحبها أبداً، أظنه أخبرك بما فعلته به عندما كان صغيراً».

ودون أن تنتظر أوليمبيا جواب ساسكيا، تابعت متدفقة بالكلام: «لا يُفترض بي معرفة ذلك في الحقيقة، لكن أختي ليديا أخبرتني وأقسمت عليّ كتم السر. ولكن طبعاً لا بأس من التحدث معك عن ذلك لأن أندريس لا بد حدثك عنه. كان حينذاك ما زال غلاماً في الخامسة عشرة، وكانت أثينا أكبر منه بكثير وعلى وشك الزواج. أنا أعرف أن فرق السن ذاك لا أهمية له بين شخصين راشدين، لكن أندريس لم يكن راشداً بعد. كان في المدرسة.. فجاءت إليه.. أظن أن أندريس كان رائعاً في شجاعته وأخلاقه لأنه رفض التجاوب معها.. ثم أتعلمين أيضاً؟ رغم ادعاء أثينا بأنها تحبه، أظنها تريد معاقبته لرفضه لها.. حسناً.. هل فهمت ما أعني؟».

وراحت ساسكيا تفكر كيف حاولت أثينا أن تغوي أندريس عندما كان مجرد تلميذ في المدرسة! وجاهدت بشدة لكبح ما أثارته هذه الوقائع في نفسها من صدمة واشمئزاز.

صحيح أن السنوات السبع التي تفرقهما ليست بكثيرة، وهو ليس كبيراً، إلا أنه بالنسبة إلى امرأة في العشرينات تحاول إغواء غلام في الخامسة عشرة.. فذلك فساد دون شك... وسرت في جسدها قشعريرة باردة.

هل يعقل أن تدع امرأة كأثينا مجرد خطيبة زائفة، تقف بينها وبين الرجل الذي تريد؟ من الواضح أن أثينا متلهفة للحصول على أندريس، وإن كانت دوافعها مغلفة بالأسرار.

كان أندريس من الرجولة بحيث يصعب تصوره في وضع الفريسة وليس الصياد. وفي رأي ساسكيا إذا كان هناك رجل يتميّز بالحيوية الفائقة والشموخ والكبرياء، فهو أندريس... إلاّ أنها رأت في شخصية أثينا، شيئاً مخالفاً منفّراً مثل برودة المشاعر والجشع والتسلّط، ممّا جعل من الصعب على ساسكيا الاطمئنان إليها أو حتى التفكير فيها بصفتها من بنات جنسها.

كان تصميمها على الزواج من أندريس هائلاً بحيث يرسل القشعريرة في الجسد.

قاطعت أوليمبيا أفكار ساسكيا وقالت بأسف وتأثر: «طبعاً، لولا صحة جدي لما كانت هناك مشكلة، كلنا يعلم هذا. إن جدي يحب الظن بأن أندريس، يعتمد عليه مالياً، ولكن..».

وسكتت وهي تهز رأسها، ثم قالت: «سترتدين الثوب الأسود، أليس كذلك؟ أنا متلهفة لرؤيته عليك، إنه يناسب لون بشرتك تماماً، بينما لون بشرتي يبدو باهتاً إزاء الأسود..».



وسمعتا صوت خطوات رجل في الممر أمام باب غرفة النوم، فقالت أوليمبيا: «إنه أندريس، وهو سيسلخ جلدي إذا ظن أنني أزعجك».

أجفلت ساسكيا عندما دخل أندريس الغرفة، وأخذت تنظر إليه وهو ينقل نظراته من السرير إلى حيث كانت تقف أوليمبيا في الزاوية. وقال بغضب: «أوليمبيا، لقد قلت لك..».

فتدخلت ساسكيا لحمايتها: «كنت مستيقظة حين جاءت».

لقد أحبّت ساسكيا أخت أندريس، ولو كانت هي تحبه حقاً، وتريد أن تتزوجه، لوجدت في هذه الفتاة الدافئة العواطف صديقة وفية.

ألقت أوليمبيا بنفسها على أندريس ضاحكة وهي تحيطه بذراعيها وتخبره بانتصار.

ـ أترى؟ أنت مخطىء، يا أخي الأكبر، وعليك ألاّ تكون حازماً متسلطاً معي بهذا الشكل وإلا رفضت ساسكيا الزواج بك. والآن بعد أن تعرّفت بها، صممت على أن تكون أختي وزوجة أخي. كنا نتحدث عما سترتديه للعشاء. ثم حذرتها من أن أثينا ستلبس ثوباً غير عادي لكي تتفوّق عليها.

فقال بجفاء: «إذا لم تذهبي إلى غرفتك لكي نستعد جميعاً، ستكون أثينا أفضلنا أناقة».

قبّلت أوليمبيا جبينه ثم أسرعت إلى الباب حيث وقفت وهي تنظر إلى ساسكيا بابتسامة عريضة شيطانية: «لا تنسي أن تلبسي الأسود!».

بعد أن أغلقت الباب خلفها، قال أندريس لساسكيا: «آسف، لقد سبق وحذرتها من إزعاجك».

إذن، لم ينخدع بكذبتها البيضاء، فقالت ساسكيا الحقيقة هذه المرة: «لا يهمني ذلك، فأنا أحبها».

فقال أندريس بشيء من السخط: «ظُرف أوليمبيا شيء تميل أحياناً إلى استغلاله، ولكونها طفلة الأسرة، فهي سيدتها في الحصول على ما تريد».

ثم نظر إلى ساعته قائلاً: «لديك نصف ساعة تستعدين فيها».

أخذت ساسكيا نفساً عميقاً مهدئاً. فما كاشفتها به أوليمبيا أثار فيها شعوراً عميقاً من العطف نحو الآخرين. كان ذلك جزءاً من طبيعتها، إلاّ أن شيئاً اشتعل في اعماقها محدثاً فيها تغييراً كبيراً، ودون أن تعلم كيف حدث هذا، تحوّل أندريس في نظرها من طاغية مستبد يثير اشمئزازها وخوفها، إلى إنسان آخر يستحق منها البطولة والعون. لقد أصبح الآن لديها دور هي مصممة على القيام به باذلة كل ما لديها من طاقة وإمكانية لتحقيقه.

أجابته بلهجة أرباب الأعمال: «نصف ساعة. في هذه الحالة أودّ استعمال الحمام أولاً».

* * *



## ٨ ـ حب بمليون جنيه!

ـ والآن، يا ساسكيا، كيف تظنين أنك ستتكيفين نفسك كزوجة يونانية.. إذا تزوجتما أنت وأندريس؟

سمعت ساسكيا شهقة سخط من أوليمبيا للطريقة التي طرحت أثينا بها سؤالها، لكنها رفضت السماح لنفسها بأن ترهبها تلك المرأة، فمنذ اتخذ الجميع أماكنهم حول مائدة العشاء، أدركت ساسكيا أن أثينا مصممة على إثارة أعصابها قدر الإمكان. وعلى كل حال، قبل أن تقول شيئاً، كان أندريس يجيب على السؤال بدلاً منها، بلهجة حاقدة: «ليس هناك كلمة (إذا) بالنسبة إلى زواجنا، يا أثينا. ساسكيا (سوف) تصبح زوجتي».

وجاء الآن دور ساسكيا لتخنق شهقة الصدمة التي شعرت بها، لكنها لم تستطع السيطرة على دافع غريزي للنظر بقلق إلى أندريس. ما الذي سيفعله إذا كان عليه في النهاية الاعتراف لأثينا بأن خطبتهما قد فُسخت؟ ثم فكرت بأن هذه مشكلته وليست مشكلتها.

لكن شعوراً غريباً ينتابها، وهي مقتنعة به. وحين خرج أندريس من مكتبه الملحق بغرفة (نومهما) هذا المساء، توقف أمامها تماماً، قائلاً بهدوء: «أشك في أن أي رجل يراك الآن قد يفعل أي شيء عدا تمنيه أن تكوني له، يا ساسكيا».

لم يحدث أن ساورتها الرغبة قط في العمل على المسرح.. كان



WWW.ELROMANCIA.COM

هذا بعيداً عن أمانيها . . ومع ذلك، منذ تلك اللحظة شعرت وكأنها قد انتقلت إلى شخصية جديدة. لقد أصبحت فجأة خطية أندريس و، مثل أي امرأة عاشقة، لم تكن فخورة بأن تكون مع حبيبها وحسب، بل تملكها شعور الأنثى بجانب حاميها، وأصبح القلق في عينيها لأجله وبسببه. وراحت ساسكيا تفكر بما سيشعر أندريس عندما تعيّره أثينا ساخرة بالكلام الذي قاله لتوّه حين تنفسخ خطوبتهما؟

ما الذي شعر به عندما أدرك لأول مرة، وهو غلام، غاية أثينا منه؟

ـ الزوجات. أنا أعشق الزوجات.

قال أريستوتل هذا ضاحكاً بخلاعة وهو يميل نحو ساسكيا بشكل تمكن معه من وضع يده على ذراعها.

أشاحت ساسكيا بوجهها عنه على الفور، فقد كانت تشارك أوليمبيا رأيها في محاسب أثينا. رغم أنه كان طويل القامة، جعله جذعه الثقيل يبدو قصيراً. أما شعره الأسود الكثيف فكان مضمخاً بالزيت، والبذلة البيضاء التي يرتديها فوق قميص أسود، لم تكن في نظر ساسكيا على الأقل، تحسّن من شكله، بينما بدا أندريس هادئاً جذاباً مرتاحاً في بنطلون أنيق وقميص قطني أبيض.

إذا كانت، بينها وبين نفسها، ظنت أن ثوبها الأسود قد يكون مميّزاً نوعاً ما، فسرعان ما أدركت صواب رأي أولمبيا في اقتراحها ارتداء هذا الثوب عندما رأت ثوب أثينا.

ذلك أن ثوبها الأبيض المحكم على جسدها لم يترك شيئاً للمخيّلة. وكانت ساسكيا سمعت أثينا تقول لأندريس معجبة بنفسها: «لقد صُمّم هذا الثوب خصّيصاً لأجلي. بالمناسبة. . . أرجو أن تكون قد نبهت خطيبتك أنني أحب أن أشاركك السباحة في الصباح. . .».

لم تستطع ساسكيا منع نفسها من إلقاء نظرة قصيرة مذهولة على



أندريس فسّرتها أثينا لحسن الحظ بالغيرة لفكرة أن امرأة أخرى تسبح مع خطيبها.

وبينما كانت ساسكيا تهضم ما سمعته، سمعت أندريس يجيب أثينا بحدة: «يمكنني تذكر فقط مناسبة واحدة حاولت أنت فيها مشاركتي السباحة الصباحية، يا أثينا، وأتذكر أيضاً أنني أخبرتك بمدى انزعاجي لأنك أفسدت فترة صباحي الهادئة».

فقالت أثينا دون شعور بالحرج: «آه، هل خفت من أنني قلت شيئاً لا تريد خطيبتك سماعه؟ ولكن من المؤكد يا أندريس».

ثم تمتمت بصوت أجش وهي تمد يدها لتضعها على ذراعه: «على خطيبتك أن تدرك أن رجلاً جذاباً ومفعماً بالحيوية مثلك. . لا بد كانت له عشيقات أخريات قبلها. . .».

كادت أنفاس ساسكيا تتوقف لوقاحة أثينا، وراحت تتصور ما سيكون عليه شعورها لو أن أندريس كان حقاً خطيبها. وكم كانت كلمات أثينا ستشعرها بالغيرة وعدم الأمان، إذ ما من امرأة تريد أن يذكرها أحد بالنساء الأخريات اللاتي شاركن حبيبها عواطفه قبلها.

لكن أندريس، كما يبدو، لم يكن منزعجاً إطلاقاً مما تكشفه أثينا، فقد أزاح، ببساطة، يدها عن ذراعه وذلك بالرجوع إلى الخلف ووضع ذراعه حول كتفي ساسكيا، وضمها إليه إلى حد أدركت ساسكيا معه أنه لا بد أحس برجفتها التي لم تستطع منعها، الرجفة التي ازدادت حتى أصبحت تشنجاً حين أخذت أصابعه تلامس، دون وعي، كتفها قائلاً: «ساسكيا تعلم أنها المرأة الوحيدة التي أحببت في حياتي، المرأة التي أريد أن أمضي بقية حياتي معها».

كلما ازدادت ساسكيا إصغاء ومراقبة لأثينا، ازدادت موافقتها على رأي أوليمبيا أن الحب ليس ما يحرك أثينا. فقد كانت تنظر إلى أندريس

أحياناً وكأنها تكرهه وتريد تدميره كلياً.

كان أريستوتل لا يزال يحاول جذب انتباه ساسكيا، لكنها تعمّدت التظاهر بعدم انتباهها. لقد أثار انزعاجها لدرجة أن اللمسة الواحدة منه جعلتها ترتعش اشمئزازاً، وعلى كل حال، كان التهذيب يدفعها إلى الإجابة على أسئلته قدر إمكانها، رغم أن أسئلته متطفلة لا تطاق. وشعرت بالضيق حين قال، إنه لو كان محاسباً عند أندريس لأصرّ عليها توقيع اتفاقية قبل الزواج تتعهد فيها بأنه، إذا انتهى الزواج، فإن أموال أندريس ستكون في أمان.

وتملكتها الدهشة عندما انخرط أندريس في هذا الحديث قائلاً لأريستوتل متجهماً إنه ما كان ليطلب قط من المرأة التي يحبها التوقيع على اتفاقية كهذه.

ثم أضاف أندريس بحزم وصوت عميق وإخلاص واضح: «المال تافه مقارنة مع الحب».

فحبست ساسكيا أنفاسها قليلاً وهي تسمع كلام أندريس وهو ينظر إليها، فتذكرت فوراً ظروف (تعارفهما) ورأيه الحقيقي فيها وإذا بها تشعر فجأة بمرارة اليأس البالغ في فمها وتمنت لو تخبره بحكمه الخاطىء وبالحقيقة التي يتمناها.

كان يريحها، على الأقل، أن أمه وشقيقته تحبانها. أضف أن أوليمبيا أكدت لها أيضاً أن أختها الكبرى ليديا مسرورة مثلهما لحب أندريس لها وهي تتطلع بشوق إلى التعرف بها عندما تعود في أواخر الشهر من بروكسل حيث تقيم مع زوجها وأولادها.

وشعرت ساسكيا بأنه لو لم تحبها أسرة أندريس، لكانت كرهت ذلك حقاً.

وفجأة، أحست ساسكيا بأن وجهها ابتدأ يحترق. ما الذي تفكر



فيه؟ إنها فقط هنا لتمثل دور خطيبة أندريس، فخطبتهما زائفة.. تمثيلية.. كذبة أرغمها أندريس بابتزازه لها على مشاركته فيها لتساعده على التخلص من الشرك الذي تريد أثينا إيقاعه فيه.

أفصح أريستوتل لساسكيا عن رغبته في مرافقتها بجولة حول حديقة القيلا، فهزت ساسكيا رأسها بالرفض بحركة تلقائية وشعرت من جديد بوجهها يحترق وهي ترى مراقبة أندريس لها وفي عينيه مزيج من الغضب والتحذير، فمن المؤكد أنه غير جاد في ظنه بأنها ستقبل دعوة أريستوتل. ثم سمعته فجأة يقف ويقول: «لقد أمضت ساسكيا يوماً مجهداً، وأظن أن الوقت قد حان لنتمنى لكم ليلة سعيدة».

نظرت ساسكيا حول المائدة بسرعة. كان واضحاً من التعبير الذي ارتسم على وجوه الآخرين تفسيرهم لقرار أندريس هذا. وعرفت ساسكيا أن التوهج الذي بدا على وجهها وعنقها قد أثبت لهم ظنونهم.

وعندما استدار واقفاً خلف كرسيها ليساعدها على الوقوف أخذت بالاحتجاج: «أندريس.. لا أريد..».

فقالت أوليمبيا ضاحكة بصوت خافت: «لا فائدة من الكلام، يا ساسكيا لأن من الواضح أن أخي العزيز (يريد)! آه، لا لزوم لعبوسك في وجهي يا أخي العزيز».

وضحكت أوليمبيا مرة أخرى قبل أن تضيف قائلة بمكر: «وأنا أراهن على أنك لن تنزل للسباحة عند الفجر..».

ـ أوليمبيا!

صرخت بها أمها وقد احمرت وجنتاها، بينما ألقت أثينا على ساسكيا نظرة تنفث كراهية عندما وقفت هذه الأخيرة بسرعة ثم تجمدت حين وقف أريستوتل هو أيضاً قائلاً بإصرار وبوقاحة: «أريد المطالبة بامتيازات صديق الأسرة وذلك بتقبيل العنصر الجديد في الأسرة قبلة

المساء».

وقبل أن تتمكن ساسكيا من تجنبه، أمسك بها، ولكن قبل أن ينفذ ما قاله، كان أندريس يقف بينهما وهو يقول متجهماً: «خطيبتي لا تقبل سوى رجل واحد..».

* * *

وبعد أن عادا إلى الغرفة قال أندريس: «إذا كنتَ تقبلين نصيحتي، ابتعدي عن أريستوتل، فسمعته سيئة جداً مع النساء. لقد اتهمته زوجته السابقة باستعمال العنف معها و...».

فاستدارت ساسكيا إليه وهي تدخل الغرفة، والغضب بادٍ على وجهها وقالت بينما هو يغلق الباب: «لا يمكنك أن تعني ما أظنك تعنيه».

كيف يتصور أنه يمكنها حتى التفكير بالاهتمام برجل مثل ذلك المحاسب؟ إنها إهانة لم تكن مستعدة للسكوت عنها. فقال وقد أساء تفسير كلامها: «لا يمكنني؟ أنتِ هنا لسبب واحد فقط يا ساسكيا. أنتِ هنا لتمثيل دور خطيبتي، وبالرغم من أنني أقدّر لك ذلك بصفتك المرأة التي عرفتها في الحانة، أقدّر كذلك الإغراء الذي يدفعك إلى زيادة دخلك قليلاً، والقيام بالعمل الذي تحسنينه أكثر من أي شيء آخر، كما يبدو، ذلك الإغراء الذي لا بد أنه قوي، إلا أنني أحذرك الآن من أن الاستسلام له. وإذا فعلت، في الواقع...».

أجفلت ساسكيا عندما سمعت كلام أندريس القاسي: «إذا (فعلت).. ماذا؟».

إنها تفضل الموت على أن تدع كتلة حلزونية مثل أريستوتل تقترب منها. وثار غضبها عندما فكرت أنها، في غرفة الطعام، شعرت بالعطف نحو أندريس، وأرادت حمايته حقاً. إنما الآن، الغضب



والكبرياء يعصفان بكيانها، فقذفته بمرارة، بهذا الجواب: «إذا شئتَ الحقيقة، أنا أنظر إلى أريستوتل بنفس الإشمئزاز والتقزز اللذين أنظر بهما إليك».

فأمسك بها وقد تملكه غضب يماثل غضبها وصاح بها: «كيف تجرؤين على التحدث عني كما تتحدثين عن ذلك الحشرة؟».

ثم أضاف وقد احمرت عيناه بمشاعر عنيفة رأتها ساسكيا على وشك الخروج عن السيطرة: «ذلك الرجل حيوان.. بل أسوأ من الحيوان. السنة الماضية نجا بجلده من الوقوف في المحكمة بتهمة جنائية، ولا أفهم كيف تطيقه أثينا، وقد قلت لها ذلك».

فقالت ساسكيا بتهكم: «ربما تريد أن تثير غيرتك».

كانت ملاحظة جريئة مليئة بالتبجح تمنت ساسكيا على الفور لو أنها لم تقلها حين رأت كيف تحول الإحمرار في عينيه إلى لهيب من الغضب العنيف، فصاح في وجهها مجدداً: «هل هي التي تفعل ذلك؟ أم أنت..؟ لقد رأيت كيف كان ينظر إليك أثناء العشاء.. ويلمسك و...».

فأجابت باحتجاج وغضب: «أنا لستُ مسؤولة عن ذلك».

لكنها أحست بأنه لم يتأثر بكلامها، وأن شيئاً آخر كان يشعل غضبه ويغذيه.. شيئاً خفياً عنها لكنه خارج عن احتماله.

وتابع أندريس كلامه وهو يصر على أسنانه: «ربما من عدم الشهامة والتهذيب القول، بالنسبة إلى أنك ترينني مقززاً ومثيراً للإشمئزاز، أن ما رأيته في عينيك اليوم لم يكن التقزز والإشمئزاز. وما سمعته في صوتك، ولمسته في جسدك لم يكن التقزز، أليس كذلك؟».

وأخذت ساسكيا ترتجف وتقول كاذبة وبحدة: «لا أدري، لا أتذكّر..».

وأدركت ساسكيا بعد لحظات، أن ما قالته هو أسوأ ما يمكن قوله، لأن أندريس انقضّ عليها على الفور هامساً بوحشية: «لا تتذكرين؟ إذن، ربما ساعدتك على أن تتذكري..».

بدأت بالاحتجاج، لكنها سرعان ما فقدت القدرة على النطق.. ليس لأن أندريس رفض الإصغاء، ولكن لأن شفتيها رفضتا التكلم..

ثم أحاطها بذراعيه يسجنها بينهما ويسألها: «والآن، متى بالضبط وجدتني مثيراً للاشمئزاز، يا ساسكيا؟ أعندما فعلت هذا..؟».

ثم عانقها عناقاً أثار في كيانها مشاعر ساخنة لم تكن تريدها، فقاومته ولكن شيئاً فشيئاً بدأت مقاومتها تهن وتضعف ولم ترَ أخيراً إلا أنها تستجيب له وتبادله العناق. ويبدو أن أندريس لم يكتف بذلك، لأنه، حتى هذا النصر لم يكن شافياً لغضبه.

فعاد وسألها بعد لحظات معنفاً: «ماذا؟ أما زلت لا تجيبين...؟ هذا غريب».

ثم أضاف: «أم أنه ما كان لي أن أستغرب؟ فأنت امرأة اعتادت منح نفسها لرجل، يعرف كيف يستثير مشاعرها».

راحت ساسكيا تئن مستنكرة وغاضبة، وهي تحاول أن تدير وجهها عن وجهه وتتملص منه وهي تكرر: «لا.. لا..».

فرد عليها بإصرار وحزم:

ـ بل هذا صحيح. نعم، إعترفي بذلك، يا ساسكيا.. أنت تريدينني..

تملكتها رجفة وذهول وهي ترى الحقيقة في جانب مما يقوله. فقد كانت تريده حقاً، ولكن ليس بهذا الشكل الذي يعنيه. بل كامرأة تريد الرجل الذي تحبه، كانت تريده حبيباً لها يريحها من ضغط مشاعرها. كيف بإمكانها أن تحبه؟ ولكنها أحبته فعلاً..



وراحت ساسكيا تعترف لنفسها بيأس وقنوط بأنها وقعت في غرامه في اللحظة التي وقعت فيها عيناها عليه، لكن حينها حدثت نفسها بأنه لا يمكنها إنشاء علاقة معه وفاءً لصديقتها، ظناً منها أنه مارك حبيب صديقتها، وأنه لا يجدر بها أن تشعر نحوه بتلك الأحاسيس، تماماً كما عليها الآن ردع نفسها عن هذه المشاعر.. رغم أن السبب الآن مختلف جداً، فلم تعد ميغان الآن حاجزاً بينها وبين حب أندريس لأنه ليس مارك حبيب ميغان، لكن الحاجز هو أندريس نفسه ورأيه فيها. ونظرت ساسكيا إلى أندريس بضعف قائلة: «دعني، يا أندريس».

لكنه رفض، قائلاً:

ـ ليس قبل أن تعترفي بأنني محق وأنك تريدينني. أم أنك تحاولين دفعي إلى أن (أثبت) لك ذلك؟

أجفلت ساسكيا وهي تشعر بمزيج من الاختناق والخوف والإثارة يتفجر داخلها.

ترددت وهي تحاول أن تجد الإجابة المناسبة، والمعقولة التي يمكنها إعطاءها له، لكنها ما لبثت أن أدركت أنها أطالت الانتظار عندما قال لها ساخراً:

ـ أنا أريدك، يا ساسكيا، لكنك سبق وعلمتِ هذا، أليس كذلك؟ وكيف يمكن لامرأة مثلك ألاّ تعرف؟ يمكنك أن تشعري به، أليس كذلك؟

وأمسك بيدها يضعها على قلبه فمالت عليه وهي تحس بالخفقان العنيف تحت يدها، وتمنت لو كان لديها القوة للإبتعاد عنه.. لكنها أدركت أنها أضعف من أن تفعل ذلك. تأوهت بخفة عندما أخذت مشاعرها تعصف بكيانها، وكان قلب أندريس يخفق بعنف جعلها تشعر به في داخلها. فمنذ ذلك المساء، عندما أخذ أندريس، دون وعي،

يلامس كتفها.. كما يلامس العاشق الحقيقي حبيبته. ارتعدت بمشاعر خرساء، لكن ذلك كان لا شيء بالنسبة لما تشعر به الآن. فعندما أغمضت عينيها استطاعت أن تراه، كما وصفته أثينا، متكبراً مزهواً وهو يشق المياه بجسده القوي.

كان كيانها كله قد انقلب رأساً على عقب استجابة لهذه المشاعر التي يحييها في قلبها.

ـ أنتِ تريدينني.. أنتِ بحاجة إلي..

كانت تشعر به ينطق بهذه الكلمات، فلم تستطع إنكارها... كانت مشاعرها تتجاوب معه بشكل جديد عليها، لا تملك دفاعات ضده.

وفجأة، أصبح كل شيء آخر منسياً. كل ما كانت بحاجة إليه.. ما تريده.. كل ما يمكن أن تطلبه على الإطلاق، كان هنا.. بين يديه.

تأوهت وارتجفت مرات أخرى وهو يضمها إلى صدره بشوق كاد يمنعها من التفكير أو التعقل، إلاّ أنه لم يكن هناك مكان للتعقل في عالم المشاعر الجديد هذا ومن ثم هزها صوته الأجش: «يا إلهي.. الآن فقط أستطيع أن أفهم لماذا كان الرجال الآخرون يتساقطون ضحايا حولك، فيك شيء ما.. سحر.. شيء...».

وهنا، شعر بأنها أجفلت فجأة ودفعته عنها، فسألها بدهشة: «ماذا حدث لك؟».

لم تستطع ساسكيا احتمال النظر إليه.

فبتلك الكلمات القليلة التي تتضمن الاحتقار لها، دمّر كل شيء.. طمس تماماً عالمها الجديد الرائع، وأعادها محطمة إلى عالمها القديم.

شعرت بالغثيان حتى الأعماق من سلوكها هذا وحماقتها، وهتفت ساسكيا مذعورة: «لا، لا، لا أريد هذا».



وسمعت الغضب في صوته وهو يتركها محذراً: «بحق الجحيم... إذا؟ إذا كانت هذه لعبة منك..».

ثم عاد فسكت، وهو يهز رأسه متمتماً وغير مصدق: «يا إلهي، لا بد أنني جننت، على كل حال، حتى أنني أخذت أفكر في.. أظن هذا ما تفعله سنوات العزوبة الطويلة في الرجل. لم أظن قط أنني سأكون من الحمق والبلاهة إلى حد..».

وصمت برهة ثم قال مطمئناً انما متهجماً، عندما رآها مسمرة مكانها:

ـ أنتِ آمنة تماماً، فأنا لن ألمسك، لا يمكنني أن..

وسكت وهز رأسه مرة أخرى، ثم قال باقتضاب: «لديّ بعض الأعمال، سأنصرف».

* * *

عندما استيقظت ساسكيا، كانت الغرفة غارقة في الظلام. لم تعرف في البداية ما أيقظها.. ثم عادت فسمعته، إنه صوت مياه حوض السباحة. فقد كان الباب المؤدي إليه مفتوحاً، فراحت تنظر من خلاله إلى الحوض، فرأت الضوء الخافت ينير المياه ومن يسبح فيها.

لقد كان أندريس يسبح.. نظرت إلى ساعتها، فإذا هي الثالثة صباحاً وأندريس يسبح دون تعب ذهاباً وإياباً في البركة. انتصبت جالسة في سريرها لتراه بشكل أفضل بينما كان يسبح بسرعة إلى آخر البركة. وعندما استدار عادت ساسكيا فاستلقت على سريرها، إذ لم تشأ أن يراها تراقبه.

وتحت ملاءات السرير، راحت ساسكيا تفكر... هل يفترض به أن يسبح أثناء الليل؟ وهل ذلك آمن؟ ماذا لو..؟ وفي اللحظة نفسها تقريباً، تحققت تلك المخاوف عندما لم تعد أذناها تسمعان صوت

سباحة أندريس. أزاحت عنها أغطية السرير بسرعة ونظرت نحو البركة بقلق، فرأت المياه جامدة هادئة.

أين أندريس؟ وتشبثت بأغطية السرير وهي تراه يصعد الدرجات خارجاً من المياه.. حاولت أن تحوّل نظراتها المتمردة عن وسامته وقوة جسده، ولكن دون فائدة. لقد رفضت نظراتها إطاعتها، فقد كان لمنظره اللامع تحت الضوء الخافت تأثير الصدمة على قلبها.

شهقت حين استدارت فجأة، فبدا أندريس وكأنه ينظر إلى داخل الغرفة مباشرة. هل تمكن من رؤيتها؟ هل أدرك أنها كانت تراقبه؟ واستلقت جامدة تماماً، داعية الله ألاّ يكون قد رآها تفعل ذلك. فهي لن تحتمل سخريته إذا دخل إليها الآن.. إذا كان..

استطاعت كبت شوقها إليه. فإذا جاء إليها الآن وأمسك بها.. وعانقها كما تتمنى، فهذا لن يكون حباً بل شهوة، وتساءلت بجدية: «هل هذا ما تريده حقاً؟».

وأجابت نفسها بعجز:

ـ كلا طبعاً، ليس هذا ما تريده، فما تريده هو أن يحبها أندريس كما تحبه هي.

كان مشيحاً عنها الآن، والضوء يخطط تقاطيع جسمه الرائع. إنه رجل رائع، وسيم وقوي. أقرت بذلك صامتة، هامسة بكلمة حب رقيقة، وعندما استدارت عيناها إليه، رأته مرة أخرى ينظر ناحية غرفة النوم. وحبست ساسكيا أنفاسها وهي تدعو.. وترجو.. وتنتظر.. إلا أن أندريس انحنى وتناول «الروب» فارتداه ثم سار مبتعداً عنها، وتساءلت متعجبة: «ترى إلى أين ذهب؟» هل عاد إلى مكتبه؟».

وبقيت ساسكيا، بعد ذهاب أندريس وقتاً طويلاً، مستلقية على السرير، خائفة من الحراك، عاجزة عن النوم وخائفة أكثر من التفكير.



ماذا يحدث لها؟ كيف يمكنها أن تحب رجلاً عاملها معاملة أندريس؟ هذا الذي ابتزها وهدّدها ورفض أن يدعها تدافع عن نفسها؟ هذا الرجل كوّن أحطّ فكرة عنها. ومع ذلك، ما زال يحتضنها ويعانقها. كيف يمكنها؟ وأغمضت ساسكيا عينيها، لم تكن تعلم الجواب، كل ما كانت تعرفه هو أن مشاعرها، وقلبها، وأعماقها، تصرخ.. كيف يمكنها ألاّ تحبه؟

* * *

ـ حمام شمس؟ لم أظن قط أنني سأراك يوماً ما مستلقياً متكاسلاً بهذا الشكل.

بهذه الكلمات أغاظت أوليمبيا أخاها أندريس عندما نزلت من الڤيلا مرتدية ثوب البحر، ثم استلقت بالقرب من ساسكيا.

فأجابها أندريس بخبث وكذب:

ـ لم تنم ساسكياجيداً في الليل. إنها بحاجة إلى الراحة ولا أريدها أن تقوم بأشياء كثيرة أو تستلقي في شمسنا القوية مدة أطول مما ينبغي.

ولم يبدُ على أندريس أي خجل.

فقالت أوليمبيا لساسكيا بعطف وهي تنظر إلى وجهها الشاحب: «آه، يا للمسكينة».

تملك ساسكيا شعور بالذنب ولم تقل شيئاً. أضف أنه لا يمكنها الاعتراف بأن السبب في شحوبها هذا هو تمضية معظم ساعات الليل في التفكير بهذا الرجل المستلقي بجانبها. ولحسن الحظ أن أندريس قد عزا اتساع عينيها البالغ وشحوب وجهها إلى متاعب السفر.

فقالت أوليمبيا ضاحكة بسرور: «حسناً، هذا تحسين قد أحدثته أنتِ في نظام حياة أخي، يا ساسكيا».

ثم أضافت: «ففي العادة، عندما يجيء أندريس إلى القيلا، لا نستطيع أن نخرجه من مكتبه».

ثم سألت أوليمبيا أندريس: «حسناً، متى قال جدي إنه سيصل؟».

وقبل أن يجيب، تناهى إليهم صوت أثينا وهي تخرج مع محاسبها من القيلا نحو حوض السباحة: «لا بد لي من القول إنني سأدهش حقاً إذا أتى جدك إلى الجزيرة حالياً».

هبط قلب ساسكيا قليلاً عندما رأتهما، فقد أغرقها المحاسب بالمديح على مائدة الإفطار، وكان واضحاً أن دافعه هو مشاعر شهوانية، مما جعلها مسرورة للهرب منه.

عندما ابتدأت أوليمبيا بالوجوم، أضافت أثينا بخبث: «جدك ليس مسروراً منك حالياً، يا أندريس..».

فقال أندريس بجفاء: «جدي لا يكون مسروراً من أي شخص يخالفه في الرأي، إنه حاد الطبع ويثور بسرعة. لكن لديه، والحمد لله، ذاكرة ضعيفة..».

كان أندريس قد أصرّ على أن تستلقي ساسكيا تحت مظلة حماية لبياض بشرتها، ولكن عندما رأت ساسكيا أثينا وهي تخلع المنديل الذي ترتديه فوق ثوب السباحة شعرت بالحسد من سمرتها الذهبية المكتسبة.

وقالت أثينا بخبث عندما رأت ساسكيا تحت المظلة: «لا بد أنك غير مرتاحة للإستلقاء في الظل، فلو كنتُ مكانك لكرهت مثل هذه البشرة البيضاء، لأنها دوماً تبدو..».

فقاطعها أندريس بنعومة: «بشرة ساسكيا تذكرني بنقاء المرمر».

فقالت أثينا بابتسامة خبيثة: «المرمر.. آه، لكن المرمر بارد جداً».



وأضافت وهي تلقي على ساسكيا نظرة تقييم: «آه، ها أنت تعبسين ويبدو عليك التذمر».

ثم قالت لأندريس بنعومة: «وأنا أعرف شفاءً لذلك، دعني أضع على جسدك بعض الزيت، يا أندريس وأدلك..».

عندئذٍ ذلك لم تستطع ساسكيا أن تصدق نفسها حين قالت بحزم: «سأفعل أنا هذا لك، يا حبيبي».

ثم التفتت إلى أثينا وهي تضيف بجرأة: «هذا من حق الخطيبة».

وتجاهلت ساسكيا النظرة العابسة التي رمقها بها أندريس، ثم نهضت من مكانها، وأخذت زجاجة الزيت التي قدمتها أوليمبيا إليها بابتسامة استحسان، وتقدمت نحو أندريس وسكبت قليلاً من الزيت في راحتها، بحذر بالغ، ثم، وبحذر أكبر، مالت فوق جسد أندريس المستلقي على وجهه، متعمدة الوقوف بينه وبين أثينا التي استلقت بالقرب من أندريس.

تدلّى شعر ساسكيا فوق وجهها حين ابتدأت، متوترة الأعصاب، تدهن كتفي أندريس بالزيت. شعرت بجلده دافئاً مصقولاً تحت لمساتها. توقفت عندما ابتدأت يداها ترتجفان وتتنقلان على بشرته بحب ورقّة.

كان أندريس مستلقياً على بطنه مغمض العينين، لكنه فتحهما فجأة قائلاً لساسكيا: «هذا يكفي، كنتُ موشكاً على الذهاب للسباحة على كل حال».

ثم نهض بعد لحظات وسار مبتعداً عنها إلى المسبح حيث غطس فيه وراح يسبح تحت المياه فترة ثم طفا على سطحها ضارباً المياه بذراعيه بقوة.

حاول أندريس التركيز على ما يفعل، وإخلاء ذهنه كما اعتاد أن

يفعل أثناء السباحة، فهي طريقته المفضلة في الإسترخاء. أما الآن، فهذا آخر ما يشعر به. حتى دون أن يغمض عينيه استطاع تذكر شعوره بالضبط وبدا ساسكيا تتنقلان على بشرته.. ملامستين.. ناعمتين.. حساستين..

ومن جديد انزلق تحت الماء، وأخذ يسبح محاولاً السيطرة على شوقه إليها.. لكنه يريدها.. ويتشوق إليها.. لم يتملكه مثل هذا الشعور نحو امرأة من قبل، ولم يكن يوماً عاجزاً عن السيطرة على نفسه جسدياً وعاطفياً. لا بد أنها تعلم ما كانت تفعله به، فامرأة في مثل خبرتها.. امرأة تطوف الحانات في الليالي باحثة عن رجل.. لا بد أنها تعرف طبعاً.. لا بد أنها.. ومع ذلك..

ومع ذلك لم يستطع منع نفسه من مقارنة ما يعرفه عنها عقلياً بالطريقة التي كانت تشعر فيها بين ذراعيه وعناقها الرقيق الحار، والمشاعر التي غامت معها عيناها... وها هي الآن تفاجئه لتوها برفضها السماح لأثينا بلمسه..

لقد فاجأته وملأته بشعور حار بانتصار رجولته وكبريائه لشعورها بالتملك نحوه، إلاّ أنه مقتنع بأنها لا تشعر بذلك. فهي، ببساطة، تمثل الدور الذي أرغمها على القيام به.

وقطب جبينه لاستعماله لكلمة (أرغمها)، فذلك يعتبر بعيداً عن حسن الخلق. لأن إرغام أي شخص على القيام بشيء ما، هو ضد مبادئه، لكنه ابتدأ يشعر بالخوف من عدم إيجاد مخرج لهذا الوضع الحالي من دون تعريض صحة جده للخطر. واعترف لنفسه بجدية أن هذا التبرير كان تفسيراً لما فعل وليس عذراً، وإذا هو يكتشف الآن أن ما فعله مجرد استبدال مجازفة بأخرى من المحتمل أن تكون أكثر خطورة، وعندئذٍ لا يجدر به لوم أحد سوى نفسه.



هل رأت ساسكيا ما يكشف عن مشاعره قبل أن يشيح بوجهه مبتعداً عنها؟ لقد رأت أثينا ذلك.. أثينا.. وتصلب فم أندريس..

أما أثينا فنهضت ووقفت بجانب ساسكيا قائلة باستخفاف: «خاتمك الصغير هذا جميل جداً».

كانتا وحدهما عند المسبح بعد ذهاب أندريس، أما المحاسب فقد أرسلته أثينا للقيام ببعض الإتصالات التليفونية كما ذهبت أوليمبيا لتساعد أمها في التجهيز لوصول الجد.

وتابعت أثينا:

ـ لكن خاتم الخطوبة ليس ضماناً للزواج. تبدين لي فتاة عاقلة، يا ساسكيا. أندريس رجل غني جداً ومحنك، والرجال أمثاله يسأمون بسرعة، ولا بد أنك تعلمين هذا، كما أظن أن حظك في الزواج من أندريس محدود جداً. وفي الحقيقة، سيصبح حظك أقل عندما يصل جد أندريس، فهو لا يريد أن يتزوجك أندريس، فهو يوناني قديم الطراز، ولديه خطط لحفيده الوحيد ولمستقبله العملي.

وسكتت أثينا وهي تنظر إلى ساسكيا متفحصة، وعلمت ساسكيا ما تفكر فيه. فأثينا أيضاً لديها خطط لمستقبل أندريس.

ثم تابعت وهي تحدق بساسكيا: «إذا كنت تحبين أندريس حقاً، فمن المؤكد إذن أن أمره يهمك أكثر بكثير من مشاعرك. وأندريس مخلص جداً لجده. آه، أنا أعرف أنه لا يظهر ذلك لكنني أقسم لك أنه كذلك. فكري في ما سيحدث له عاطفياً، ولا أقول مالياً، إذا حدث صرع بينه وبين جده. ثم إن والدة أندريس وشقيقتاه تعتمدن مالياً على الجد.. فإذا نفى الجد أندريس من حياته، حينذاك سيُنفى أندريس من حياتهن أيضاً».

وتأوهت أثينا بشكل مسرحي عميق ثم سألت ساسكيا مصطنعة:

«إلى متى تظنينه سيستمر في الرغبة بك؟ حتى ينفيه جده من حياته؟ ويمكنني أنا افتعال ذلك يا ساسكيا.. وأنت تعلمين هذا، أليس كذلك؟ لأن جده يسمع كلامي، فهو يريد ضم أملاكي إلى أملاكه، طبعاً. هذه هي طريقة اليونانيين في حياتهم».

ثم منحت أثينا ساسكيا ابتسامة قاسية مضيفة: «ليس من عادة اليونانيين بالنسبة إلى مليونير السماح لوريثه بالزواج من أجنبية مفلسة. ولكن دعينا نتحدث في أمر أكثر بهجة، إذ ليس هناك سبب يمنعنا من الوصول إلى تسوية بيننا... بإمكاني أنا الانتظار إلى أن يتركك أندريس، لكنني سأكون صادقة معك. أنا أقترب من السن التي يصعب عليّ فيها الإنجاب لأندريس الأبناء الذين سيرغب فيهم. ولهذا، ولتسهيل الأمر لنا، نحن الاثنتين، لدي خطة أعرضها عليك وهي دفع مبلغ مليون جنيه لك مقابل خروجك من حياة أندريس.. نهائياً».

شعرت ساسكيا بوجهها يشحب للصدمة التي اعترتها من مفاجأة أثينا لها. ثم تمالكت نفسها وأجابت بحدة: «لا يمكن للمال شراء الحب، وهو لا يستطيع أن يشتريني. لا مليون جنيه، ولا مئة مليون جنيه! ولا أي مبلغ».

وامتلأت عيناها دموعاً، فعزت ذلك إلى تأثير الصدمة، ثم أضافت: «وإذا أراد أندريس في أي وقت إنهاء خطوبتنا، فهذا من حقه.. ولكن..».

فقالت أثينا بصوت خافت وقد تلونت ملامحها بالغضب والحقد: «أنت حمقاء.. أتعرفين هذا؟ أتظنين حقاً أن أندريس كان يعني ما يقول عن عدم إصراره على عقد اتفاقية لشروط ما قبل الزواج؟ ها! سيطلب منه جده أن يجعلك توقعين على هذه الاتفاقية، وعندما يسأم أندريس منك، ولا شك أنه سيفعل، لن تحصلي على شيء.. حتى الطفل الذي



قد تحملين سيؤخذ منك، فالرجال اليونانيون لا يتخلون عن أولادهم، والأسر اليونانية لا تتخلى عن ورثتها».

لم تشأ ساسكيا أن تسمع أكثر من ذلك، فهرولت إلى المنزل من دون حتى أن تلتقط ثوبها، محاولة منع نفسها عن الركض وكأنها تهرب من شيء ما.

عندما وصلت إلى البيت، كانت أوليمبيا خارجة من باب الفناء المفتوح، فهتفت بقلق: «ساسكيا..».

لكن ساسكيا هزت رأسها فحالتها لا تسمح لها بالحديث إلى أي شخص. لقد شعرت بإهانة كرامتها لما قالته أثينا لها، وتملكها الغضب. كيف تجرؤ أثينا على الظن بأن حبها للبيع.. وأن المال يعنيها أكثر من أندريس.. وأنها سوف.. وفجأة توقفت ساسكيا. بماذا كانت تفكر؟ واستدارت ثم عادت خارجة إلا أنها التقت بأوليمبيا من جديد التي عادت لتتفقدها بعدما رأتها بذاك الاضطراب.

وأخبرت ساسكيا أوليمبيا بما دار من حديث بينها وبين أثينا، ثم تابعت سيرها إلى الممر المؤدي إلى المنحدر الصخري. لقد كانت بحاجة إلى الإنفراد بنفسها، ثم تراءت لها بوضوح سخرية ما حدث، فهي وافقت على القدوم إلى الجزيرة فقط لأن أندريس فرض عليها القيام بذلك، ولأنها لم تستطع احتمال خسارة وظيفتها. ومع ذلك، عندما توفر لها ما يمكنه أن يؤمن لها الاستقرار طوال حياتها، ليس لنفسها فقط ولكن لأجل جدتها الحبيبة أيضاً، وكذلك للهرب على الفور من وضعها غير المحتمل هذا، إذا بها ترفض ذلك المال.

* * *

أما أوليمبيا فركضت غاضبة نحو المكان الذي كانت فيه أثينا مستلقية تحت أشعة الشمس. فبعدما عرفته من حديثها مع ساسكيا لا بد

من إبداء رأيها فيها بصراحة، إذ كيف تجرؤ على معاملة ساسكيا بهذا الشكل. . . محاولة رشوتها لتترك أندريس؟

أندريس!

ووقفت أوليمبيا فجأة. ربما عليها أن تخبر أخاها عما فعلته أثينا وتتركه يتصرف معها. فقد بدت ساسكيا في غاية التعاسة، ولا عجب في ذلك. وفكرت أوليمبيا بأن أندريس لن يشكرها على سلبه حقه في مواجهة أثينا.

وهكذا استدارت على عقبيها وعادت إلى الڤيلا تبحث عن أندريس.

* * *



## ٩ ـ امرأة لرجل واحد

عند أقل من ثلث الممر الذي يدور حول الجزيرة، وقفت ساسكيا، ثم استدارت على عقبيها. لن تستطيع المتابعة. . فحبها لأندريس. . ووجودها قربه كل يوم من ناحية، ومن كل النواحي الأخرى الهامة، كل ذلك كان يمزقها وهو أكثر مما تستطيع مواجهته، إلاّ أن هناك فجوة بينهما لا يمكن عبورها.

وببطء، أخذت ساسكيا تسير عائدة إلى الڤيلا. لم يكن لديها فكرة عما عليها فعله. . هل تلقي بنفسها تحت رحمة أندريس ضارعة إليه أن يحررها من (اتفاقيتهما)؟

لا فائدة من إخباره بما فعلته أثينا. فهو لن يصدقها ولديه تلك الفكرة عنها، أضف أنها لا تريده أن يعلم بحبها له. لأنه، إذا علم. . عندما يعلم. . وراحت تفكر بأن أندريس ليس أحمق، إنه رجل أعمال داهية حاد الذكاء، ولن يطول به الوقت حتى يتكهن بما حدث، وبشعورها نحوه، وهذا شيء لا يمكنها احتماله.

عندما وصلت ساسكيا إلى الڤيلا، توجهت رأساً إلى غرفتها التي كانت خالية لحسن الحظ. فخلعت ثوب السباحة بسرعة، ثم دخلت الحمام.

* * *

ـ أندريس.

همهمت أثينا باسمه بإغراء وهي تراه خارجاً من مكتب جده، فقاطعها: «ليس الآن، يا أثينا».

لقد أمضى الساعتين الماضيتين محاولاً التآلف مع مشاعره التي لم يكن يتوقعها أو يرغب فيها على الإطلاق. والآن، وقد وصل إلى قرار حاسم، أصبح متلهفاً إلى تنفيذه دون تأخير، خصوصاً مع أثينا.

لم يعد ثمة فائدة من إخفاء الحقيقة عن نفسه أكثر من ذلك. إنه يحب ساسكيا. كيف؟ لماذا؟ متى؟ وتملكه السخط عندما لم يصل إلى أجوبة لهذه الأسئلة رغم اجتهاده في التحليل. قلبه، وجسده، ومشاعره، وروحه... كل ذلك أخذ يصرّ عليه مرة بعد مرة بحاجته إليها وإلى حبها. فإذا كان تعقله الذي يكافح كل ذلك مستميتاً، يجرؤ على الجدال، فإن مشاعره ستجيب بأن حياته لن تستحق أن تُعاش.

حاول تذكير نفسه بمن تكون ساسكيا، لكن مشاعره رفضت الإصغاء. إنه يحبها كما هي، رغم الخطأ في الحكم عليها... كيف أخطأ في الحكم؟ وهي تلتقط الرجال في الحانات عارضة بيع نفسها لهم.. إن لم يكن لأجل النقود، فهو حتماً لأجل الحب الزائف الذي يعرضونه عليها.

وراح قلبه يبرر ذلك بأن ما تفعله ليس ذنبها، فقد حُرمت من حب الأب وهي طفلة. والآن ببساطة، تحاول تعويض ذلك. ثم اطمأن لفكرته بأن حبه سيعوّضها عن كل ذلك، وستنسى ماضيها كما سينساه هو، المهم هو المستقبل الذي سيجمعهما معاً.. المستقبل الذي لا يعني له شيئاً من دونها.

وهكذا سرح بأفكاره، تاركاً العمل الذي يُفترض به إنجازه، وها هو الآن في طريقه للبحث عن ساسكيا ليخبرها.. ليطلب منها.. ليتوسل إليها إذا اقتضى الأمر.



وسأل أثينا متشوقاً لإخبار ساسكيا بحبه: «هل ما زالت ساسكيا في الخارج؟».

ضاقت عينا أثينا. كانت تعرف هذه النظرة في أعين الرجال. وأن تراها الآن، في عيني الرجل الوحيد الذي تريده، أمر لا يُطاق. فإذا كانت لم تستطع إغراء ساسكيا بترك أندريس، فيجب محاولة إغراء أندريس بترك ساسكيا، وأثينا تعرف بالضبط كيف تجعل ذلك يحدث، وعلى الفور تصنعت نظرة قلق: «ألم تعلم؟ لقد ذهبت تتمشى.. مع أريستوتل. أنا أعلم أنك لا تحب قولي هذا، يا أندريس، ولكن.. حسناً، كلنا نعلم كم يحب أريستوتل النساء، وقد أظهرت ساسكيا بوضوح أنها تتقبّل ذلك.. ليس أثناء وجودك طبعاً..».

ـ أندريس..

حاولت أوليمبيا إيقافه بعد ذلك بعدة دقائق لإخباره بما حدث، لكنه رفض الوقوف والإصغاء، قائلاً: «ليس الآن يا أوليمبيا، مهما كان الأمر..» وأسرع نحو الممر المؤدي إلى جناحه وعرفت أوليمبيا بأن أخاها غاضب، فهزت رأسها. حسناً، ما تريد إخباره به لن يخفف من مزاجه السيء. ولكن عليه معرفة ما حدث بين ساسكيا وأثينا.

ودخل أندريس صافقاً الباب خلفه منادياً: «ساسكيا؟».

شحب وجه ساسكيا لرؤيته، كانت تلف نفسها بالمنشفة بعد أن استحمت.

سألها بشك: «لماذا استحميت؟».

فحدقت به بارتباك: «كنت أتمشى وكان الجوّ حاراً و...».

وتملكت أندريس غيرة تفجرت في داخله محدثة ألماً يكاد يكون مميتاً لاعتقاده بأنها كانت مع أريستوتل. ومثل كل رجل عاشق، لم يستطع احتمال التفكير في أن حبيبته بين ذراعي رجل آخر. فتصرف تبعاً

لذلك.

أمسك بها، فانغرزت أصابعه في لحم ذراعها الطري بشكل مؤلم، وقال والغيرة تنهشه: «لم تستطيعي الصبر، أليس كذلك؟ إلى أين أخذك؟».

فاحتجت ساسكيا صارخة: «أخذني..؟».

احتارت بين كلماته وتصرفه هذا: «من الذي..؟».

لكن أندريس لم يكن يصغي وأضاف وقد سيطر الغضب والغيرة عليه: «هل حدث ذلك هناك، في العراء.. في الهواء الطلق، حيث يمكن أن يراكما كل إنسان؟ هذا ما تحبينه، يا ساسكيا.. تحقرين من نفسك كلياً إلى أن..؟ ولكن، طبعاً أنت تفعلين هذا. فأنا سبق وعرفت ذلك، أليس كذلك؟ تريدين أن يعاملك الرجل بشكل سيء، أن يستعملك ثم يرميك وكأنك.. حسناً، إذن، إذا كانت هذه هي الطريقة التي تحبينها، لنر إذن إن كان بإمكاني الوصول إلى المستوى الذي يعجبك. إذا كان بإمكاني منحك ما تريدينه».

فقد أندريس السيطرة على نفسه، فهو يريد وقد تملكه انفعال بالغ، أن يدمغها بملكيته لها.. أن يجعلها امرأته وحده ويمحو من ذاكرتها كل فكرة عن رجل آخر. وراحت ساسكيا تنظر إليه مندهشة وتتساءل متأملة: «ما الذي حدث لكي يتحوّل أندريس من ذلك الرجل البارد المنصرف عنها الذي ألفته، إلى هذا الرجل المتفجر بالغضب والمشاعر المحمومة الذي تواجهه الآن؟». كانت عاطفته محمومة مدمرة، ودار رأسها. عاطفة تتفجر من أندريس في هياج لا حد له، إنه يجرها بذلك إلى الخطر والإثارة.

أليس هذا ما كانت ساسكيا تريده، سراً، أن يحدث؟ أن ينظر إليها أندريس نظرة رجل لم يعد يستطيع مقاومة مشاعره نحوها؟



وعندما رأت أندريس قد فقد السيطرة على نفسه، أطلقت العنان لمشاعرها وأشواقها هي أيضاً. احتضنها بشدة، قائلاً: «أنتِ لي.. لي يا ساسكيا.. وما هو لي أريده كلياً وكاملاً».

شعرت ساسكيا بقشعريرة في جسدها تجاوباً مع احتضانه لها. وأخذ قلبها يخفق بعنف، ثم همست بصوت أجش غير مألوف: «عانقني، يا أندريس..».

أتراها قالت ذلك حقاً؟ وازدادت عينا أندريس لمعاناً وحرارة.

ـ آه، لك ما تريدين وأكثر.

ثم انحنى إليها يعانقها ويعانقها، ولكم شعرت بالراحة والفرحة تغمر قلبها عندما أصبحت بين ذراعيه اللتين طال شوقها إليهما.

ثم راحت تهمس بصوت رقيق ودافىء باسمه: «أندريس.. أندريس..» بينما كانت تداعب شعره بأصابعها.

ومن فوق كتفها، لمح أندريس صورتهما متعانقين في المرآة. كانت تبدو رائعة كتحفة فنية مذهلة لكنها لم تكن تمثالاً أبداً بل امرأة من لحم حي يتنفس، وكان مجرد شعوره بلذة عناقهما، يمحو كل شيء ما عدا شعوره نحوها.

كان يحتضنها ويشدّها إليه سعيداً، مسروراً، وأحست ساسكيا بأنها هنا، بين ذراعي أندريس، في أجمل طريقة ممكنة. وفي غمرة ذلك نسيت ساسكيا ما كانت تريد إخبار أندريس به، ولماذا هي مضطرة للرحيل، فهذا ما كانت تريده أن يحدث منذ البداية.. منذ اللحظة التي وقعت فيها نظراتها عليه.

خففت الستائر الثقيلة التي كانت ساسكيا سحبتها على النوافذ الواسعة قبل دخولها الحمام، من أشعة الشمس الساطعة، وجعلت الغرفة تسبح في وهج ناعم هادىء. وعندما حملها أندريس بين ذراعيه

وضمها إليه، همست ساسكيا بشوق بالغ: «أريدك، إلى أقصى حد..».

وسكتت وقد غامت عيناها بمزيج من اللهفة والتردد عندما سمعت صوتها وأدركت الخطر الذي ستواجهه. لكن الأوان قد فات، فقد سمعها أندريس وأجاب بلهفة: «قوليها مرة أخرى، يا ساسكيا، أخبريني».

في عالمها الخاص، أصبح أندريس حجر المغناطيس الذي يجذبها إليه.. محور كل شيء تتعرف إليه، وكل ما أرادته في حياتها.. فقالت له بحرارة: «أريدك، أريدك يا أندريس. أنا..».

وارتجفت غير قادرة على قول المزيد. وتشابكت نظراتها الرقيقة الواهنة الذائبة بنظراته العنيفة الملتهبة.

ثم قال لها بخشونة: «وأنا أريدك يا ساسكيا أكثر مما أستطيع القول».

ثم خفّف من خشونة كلماته بعناق آخر أكثر حميمية، حيث بدا لساسكيا من خلاله وكأن الجوّ حولهما أخذ ينبض بعنف مشاعرهما. وشعرت بأنها أصبحت أسيرة له، ولكن شيئاً من الخوف في هذه الهنيهات أخذ يتسلل إليها ولم تدرِ لماذا أخذت الدموع تنهمر من عينيها وكان جسدها قد تشنج أيضاً بين ذراعيه، فارتد عنها وهمس: «لِمَ هذه الدموع؟ ولماذا تبتعدين عني؟».

كانت الدموع تتابع جريانها، فهمست شفتاها وهي ترتجف:

ـ ربما لأنها المرة الأولى التي يقترب فيها مني رجل إلى هذا الحد.

فاتسعت حدقتا عينيه عندما فهم ما تقصده بقولها. ولكن لا.. لقد كان في داخله شيء ما يريد رفض ما يراه واضحاً أمامه.. لا، لا يمكن



أن تكون طاهرة نقية... ولكنها كذلك فكل نبض في جسدها كان يوحي بهذه الحقيقة.

نظر إليها، وكانت ما زالت تبكي بدموع صامتة، ترى هل هذه الدموع بسببه؟

وتهربت أفكاره من الحقيقة. الحقيقة التي كان ذهنه يحاول فرضها عليه، لا يمكن أن تكون عذراء.. هذا مستحيل!

لكن ضميره وغضبه من نفسه أخبراه بأن تفكيره غير صحيح.. وأنها كذلك.

وابتعد عنها، شاعراً بالغثيان من نفسه فمدت يديها إليه بتردد وهي تهمس باسمه: «أندريس..».

لماذا ابتعد عنها؟

ثم قالت له ضارعة:

ـ ماذا حدث؟.. أي شيء سيء؟

فأجاب متوتراً: «وهل أنت بحاجة إلى السؤال حقاً؟ أنتِ.. أنت عذراء».

كان الغضب في صوته يمحو بهجتها ليحلّ مكانها القلق واليأس، لقد اتضح لها الآن أن أندريس ثائر على نفسه لعدم بصيرته أنها عذراء، ومع ذلك أساء بها الظن أي إساءة؟ كان مشمئزاً من نفسه، وقد جُرحت كرامته بسبب إساءة حكمه عليها كلياً.

ثم قال لها وهو ما زال متوتراً:

ـ ما كان عليك تشجيعي منذ البداية بل كان عليك صدي وإخباري بالحقيقة..

وتساءلت ساسكيا بتعاسة: ترى ما الذي سيقوله لو أخبرته بأن آخر شيء كانت تريده هو منعه عنها؟

ثم انفجر قائلاً بعنف:

ـ أنت غير آمنة في الخروج وحدك. أنت تعرفين هذا، أليس كذلك؟.. لكان أريستوتل..

فصاحت ساسكيا باشمئزاز بان في صوتها وعينيها: «أريستوتل!».

ثم ارتجفت وهي تقول له ثائرة: «لا، أبداً.. إنه مقزز للنفس و..».

ـ لكنك ذهبت تتمشين معه..

ـ لا، لم أفعل.

فألحّ قائلاً: «أثينا قالت إنك ذهبت تتمشين..».

لكن ساسكيا لم تدعه يكمل: «نعم، هذا صحيح، ولكن وحدي. كانت هناك أشياء أردت أن..».

وسكتت وهي تخفض رأسها وتنظر بعيداً عنه، ثم قالت بجدية: «أريد الذهاب إلى بلدي، يا أندريس، لا أستطيع..».

فأدرك ما تريد قوله، كما أدرك سبب ذلك، فهي تريد الابتعاد عنه.

فعاد وسألها:

ـ لماذا لم تخبريني من قبل أنك عذراء؟

فراحت ساسكيا تفكر بغضب: كيف بلغت بها الحماقة أن تظن بأنه يشعر نحوها بماتشعر هي به نحوه؟ لا بد أنها كانت مجنونة.. مجنونة.. مجنونة بحبه! ثم سمعته يقول بهدوء: «ظننت.. يا ساسكيا...».

فجاء دورها لتقاطعه: «أعرف ماذا كنت تظن. لقد سبق وأوضحتَ لي جيداً ما تظنه بي، يا أندريس. ظننتني امرأة رخيصة حمقاء تلقي بنفسها عليك لأجل أموالك، وقد حاولت أن أشرح لك قصتي فرفضت



الإصغاء إلي، أسأتَ الحكم عليّ وصدقت عني الأسوأ، وأظن أن كبرياؤك اليونانية ما كانت لتسمح لك بالإقرار بأنك قد تكون مخطئاً».

نظر إليها أندريس مندهشاً وأدرك أن غيرته أدت إلى الإساءة إليها ومعاملتها بطريقة فظة، وتمنى لو يستطيع أخذها بين ذراعيه، ليمسح آثار الدموع عن وجهها، وأن يحتضنها ويهمس في أذنها كم يحبها.. وكم يريد حمايتها والاهتمام بها.. تمنى أيضاً، أن تكون معبودته وتبقى معه إلى الأبد ليخبرها بشعوره الحقيقي نحوها.

ولكي يصرف ذهنه عن مشاعره، وعن رغبته بها، قال لها بخشونة:

ـ حسناً إشرحي لي كل شيء الآن، فأنا أصغي.

مضت لحظة فكرت ساسكيا فيها بالرفض، ولكن ما الفائدة؟ ستخبره الحقيقة، وبعد ذلك ستفصح عن نيتها بالرحيل.. لكنها طبعاً لن تخبره بالسبب.

ثم وللحظة واحدة، تمنت ساسكيا لو أن أندريس يحتضنها ويكف عن إيلامها بكلمات لا تريد سماعها، كما تمنت أن يعانقها ليطمئن قلبها المسكين المخدوع، مرة أخرى، بأنه يحبها كما تحبه. ولكن لحسن الحظ بقي لديها ما يكفي من غريزة حفظ الذات لكي تمنعها من قول هذا التمني له. ثم أخذت نفساً عميقاً وبدأت تشرح قصتها مع ميغان ومارك ولورين، وسألها أندريس غاضباً: «جعلتكِ ماذا؟».

وذلك عندما راحت تحدثه مترددة عن لورين وإصرارها على أن تجعلها تبدو أكثر إغراءً للإيقاع بمارك الذي تبين فيما بعد أنه أندريس.

ودقت أوليمبيا الباب، ثم فتحته ودخلت لتخبرهما: «جدي وصل، وهو يريد رؤيتكما، أنتما الإثنين».

فتمتمت ساسكيا بخجل: «الأفضل أن أرتدي ملابسي».

بدت أوليمبيا غافلة عن ارتباكها، وهي تضيف بسرعة: «آه، وهناك شيء أريد أن أخبرك به يا أندريس قبل رؤية جدي».

- إذا كنت تريدين طلب علاوة على «مصروفك» فأنتِ لم تختاري الوقت المناسب.

سمعت ساسكيا أندريس يقول لأخته هذا بصلابة وهو يسير معها إلى الباب، تاركاً ساسكيا تهرب نحو الحمام.

***



## ١٠ - نهاية حلم

بعينين متألقتين، حملقت ساسكيا عابسة بصورتها في المرآة في غرفة النوم، وبدت لها صورتها كامرأة مغلوب على أمرها.

لم تشأ أن تبدو بهذا الشكل حين تواجه جد أندريس.. الرجل المسؤول قبل غيره عن وجودها هنا.. الرجل الذي لا يظن أنها مناسبة لحفيده.. الرجل الذي يفضل رؤية حفيده متزوجاً من أثينا.. كما أنها لا تريد أيضاً أن يراها أندريس بهذا الشكل.

كان أندريس قد عاد إلى الغرفة لفترة قصيرة جداً بعد مقاطعة أوليمبيا لهما، فاستحم وارتدى ملابسه بسرعة ثم أبلغ ساسكيا بأن جده يلحّ بطلب رؤيتها في أسرع وقت ممكن، إلا أن هناك أموراً معينة بشأنها يريد هو التحدث عنها مع جده على انفراد أولاً.

وقال أندريس متجهماً: «لن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً».

ثم خرج من الغرفة دون منحها أي فرصة لتخبره أنها الآن، لسلامتها العقلية والجسدية، تريد الابتعاد عنه بأقصى سرعة ممكنة.

لكنه سيعود بعد قليل ليأخذها ويقدمها إلى جده.

وعادت تعبس لصورتها في المرآة. وأقرت غاضبة، بأنها تبدو صورة حقيقية لامرأة عاشقة محروقة من حب حبيبها.

حاولت مرة أخرى أن تخبر نفسها بما هو الوضع الحقيقي، لكن قلبها، بكل بساطة، رفض الإصغاء.. وأجفلت متوترة الأعصاب

عندما انفتح باب الغرفة..

تنفس أندريس بعمق قبل أن يمد يده إلى مقبض باب غرفة النوم، ثم أمسكها بحزم.

لم تكن أوليمبيا تقصد النميمة أو إثارة الخصام، بل الحماية والوقاية، فهي غاضبة لأجل ساسكيا، وهذا ما جعلها تأخذ عدة دقائق لتهدأ أعصابها بما يكفي حتى تنقل لأندريس بطريقة مفهومة الحديث الذي دار بين أثينا وساسكيا.

ـ حاولت أثينا، في الواقع، رشوة ساسكيا لكي تتركك، ووعدتها بمليون جنيه إذا هي فعلت، وطبعاً رفضت ساسكيا، لكنني لا أدري لماذا يُسمح لأثينا بفعل ما تشاء مثل هذه الإهانات والتصرفات الجارحة. يجب أن يعرف جدي بكل هذا.. وإذا كنت لا تريد إخباره..

إلاّ أن أندريس بقي صامتاً، فصاحت به أوليمبيا وقد حيّرها عدم إظهاره أي ردة فعل: «أندريس؟».

لكن أندريس كان يفكر في الوصول إلى حلّ بالنسبة إلى (الإهانات) و(التصرفات الجارحة) التي كان يوجهها إلى ساسكيا هو نفسه، ثم علم الآن ما فعلته أثينا، والنبل الذي قابلت ساسكيا به كل هذا.. ثم راح يتساءل لماذا كان مخطئاً إلى هذا الحد في حقها ومسيئاً ظالماً في الحكم عليها؟

صوت خافت في أعماقه حدثه بأنه يعلم الجواب، فمنذ اللحظة التي وقعت فيها نظراته عليها هناك، حدث شيء ما.. تملكه إحساس حاد.. ومشاعر حاول، جاهداً، كبتها. لأن كبرياءه كرهت له الوقوع في غرام امرأة بهذا المستوى ولأنه أصغى إلى كبريائه، وليس إلى قلبه، دمّر دون فطنة، حباً رائعاً هو أروع جزء في حياته. إلا إذا.. إلا إذا



أمكن إقناع ساسكيا بمنحه فرصة أخرى..

ولكن سواء منحته فرصة أخرى ليثبت فيها حبه لها، أم لا، فهناك ما ينبغي فعله. كان يونانياً بما يكفي ليظن أن ساسكيا يجب أن تحمل اسمه ومقابل ذلك يجب أن يمنحها حمايته ورعايته سواء قبلت هي بذلك أم لا.

كان أندريس قد أخبر جده بالضبط ما الذي سيفعله، مضيفاً بصدق أن ساسكيا هي أكثر أهمية لديه من الثروة والمركز وحتى من حب واحترام جده نفسه، وفكر في رفض السماح لجده برؤيتها، كيلا يعرّض ساسكيا إلى أي جرح في كرامتها. لكنه خشي من ظن جده بأنه يخفي ساسكيا عنه مخافة أن يراها غير مناسبة له... غير مناسبة! إنها مناسبة ورائعة أكثر مما يستحق..

آخر ما قام به أندريس قبل عودته إلى غرفته هو أنه أمر أثينا بأن تغادر الجزيرة على الفور، محذراً إياها بقوله: «لا تزعجي نفسك بمحاولة إقناع جدي بالسماح لك بالبقاء، فهو لن يفعل».

دخل أندريس غرفة النوم متردداً، وهو يتصور ساسكيا واقفة تنتظره فهفا قلبه المملوء شوقاً وحباً، إليها.

بدت متألقة كعروس، لكنها في اللحظة التي رأته فيها، تبدلت أساريرها وغارت عيناها وهي تجفل بحذر.

أغمض أندريس عينيه بعجز، وقد اكتسحته موجة من الحب والشعور بالذنب. وتشوّق الآن أكثر من أي وقت مضى، إلى إغلاق الباب في وجه العالم كله، ثم يأخذها بين ذراعيه ليضمها إليه إلى الأبد، وهو يطلب منها الصفح والمغفرة، والسماح له بتمضية بقية حياته معها ليريها مقدار حبه لها.

ولكن لديه مسؤولياته، وقبل كل شيء، عليه تنفيذ وعده لجده بأن

يعرفه إلى ساسكيا.

وكان يرجو أن يتذكر العجوز وعده له بمعاملة ساسكيا برفق.

عندما اجتاز أندريس الغرفة وأمسك بيدها، انكمشت ساسكيا مبتعدة عنه، خائفة من أن تخونها مشاعرها عالمةً بأنها ترتجف من رأسها حتى أخمص قدميها فقط بسبب دفء يده التي كانت تمسك بيدها.

كانت تعلم أن أندريس سيدلي ببعض التعليقات المتوترة وبعض الأوامر بالنسبة إلى الدور الذي ستقوم به أمام جده. ولكن، بدلاً من ذلك ترك يدها وقال بصوت منخفض: «أنا آسف لتعريضك لكل هذا يا.. ساسكيا».

ودون أن تجرؤ على النظر إليه ذكرته ساسكيا بعنف قائلة: «هذا ما أحضرتني من أجله إلى هنا».

فقد أحست بلهجة الندم تلك في صوته، إلاّ أنه لم يعقّب على ما قالته، وخرجا من الغرفة بينما دخلت الخادمة الصغيرة المكلفة بتنظيف الغرفة، فوقف أندريس ليقول لها شيئاً باليونانية قبل أن يلحق بساسكيا إلى الممر.

كان من الطبيعي، في مثل هذه الظروف، أن يمسك أندريس بيدها مقترباً منها، حتى إذا سارا بهذا الوضع في الفناء، يعطيان انطباعاً بأنهما خطيبان عاشقان. ولكن ما كان غير طبيعي، وغير حكيم تقريباً، هو الشعور بالدفء والأمان الذي اكتسبته من اقترابها منه بهذا الشكل وهي التي تريد الابتعاد عنه.

في محاولة لإلهاء نفسها عن تأثير أندريس عليها، نظرت إلى حيث كانت أوليمبيا وأمها واقفتين تتحدثان إلى رجل عجوز أبيض الشعر لا بد أنه الجد.



عندما اتجها نحوه، أخذ يستدير إليهما رويداً، وسمعت ساسكيا أندريس يقول بلهجة رسمية: «جدي، أودّ أن أقدم إليك ساسكيا».

وقفت ساسكيا تصغي وعيناها مسمرتان على هذه الملامح المألوفة للرجل الذي تتعرف عليه. إنه الرجل نفسه الذي رأته في الشارع في مدينة أثينا. ذلك الرجل الذي بدا مريضاً والذي قلقت عليه وحاولت مساعدته، إلاّ أنه الآن يبدو معافىً وسليماً، فها هو يتقدم نحوهما، بابتسامة عريضة، ليأخذ يد ساسكيا بيديه الإثنتين ويهزها من كل قلبه كعادة حفيده، وهو يقول ضاحكاً: «لا حاجة بك لتقديمها إليّ، يا أندريس، لأننا سبق وتعرفنا إلى بعضنا البعض، أنا وخطيبتك الرائعة الجمال».

رأت ساسكيا مدى متعة العجوز لرؤية الذهول على وجه أفراد أسرته. كان واضحاً أنه رجل يحب الشعور بأنه مسيطر ومطلع على كل شيء.. وعلى الناس.. رجل يحب التحدي وإدهاش من حوله، ولكن هذه الميزة أغضبت أندريس، بينما وجدتها هي، على العكس، ميزة محببة.

وقال أندريس مندهشاً وعابساً وهو ينقل نظراته بينهما: «أنت وساسكيا سبق وتعارفتما؟».

فأجاب الجد ببرودة وقبل أن تتمكن ساسكيا من الكلام: «نعم، في مدينة أثينا. فقد كانت رقيقة جداً مع رجل عجوز، وقلقة عليه للغاية أيضاً».

ثم نظر إلى ساسكيا بابتسامة عريضة شاكراً وقال: «أخبرني سائقي بأنك عبّرت له عن قلقك على صحتي».

ثم أضاف: «وعليّ الاعتراف بأن المشي في ذلك الجوّ الحار بالإضافة إلى انتظاري عودتك من التفرج على الأكروبوليس.. لم يكن

مريحاً، لكنني لا أظن أن ذلك كان بالقدر الذي شعر أندريس به بالانزعاج عندما جاء إلى مكتبي فاكتشف أنني ألغيت الاجتماع».

وبصوت خافت، راح يضحك كالمنتصر في الحرب قائلاً بشيء من المباهاة لأندريس: «لا أظنك تعتقد حقاً أنني سأسمح لحفيدي الوحيد بالزواج بامرأة لا أعرف شيئاً عنها، أليس كذلك؟».

وأخفت ساسكيا ابتسامة بدت على شفتيها، وقد أدركت أن هذا العجوز ما زال يونانياً أصيلاً، كانت تعلم بأنه عليها الشعور بالضيق من تصرفات الجد، لكنها أحست بالسرور بما فعل بحيث لم يسمح لها قلبها بإظهار الخصام له.

لكن أندريس، على ما يبدو، كان صعب الإرضاء، فقال بخشونة وهو يرمق جده بنظرة قاسية: «هل كنتَ تريد أن تمتحن ساسكيا..؟».

فقاطعه جده: «حتماً كان اختيارك جيداً يا أندريس. إنها ساحرة.. وحنونة. وقليلات هن الشابات اللواتي يضيّعن وقتهن على العناية برجل عجوز لا يعرفنه. كان عليّ التعرف إليها بنفسي يا أندريس. أنا أعرف أنك و...».

فقاطعه أندريس ببرودة: «ما فعلته يا جدي إهانة لها».

فحدقت إليه ساسكيا ذاهلة.

أندريس يدافع عنها ويحميها؟ ما هذا؟ وفجأة تذكرت أنه يمثل دوره فقط.. دور الخطيب العاشق المدافع.

وتابع أندريس قائلاً: «ودعني أخبرك بهذا، يا جدي، وهو: سواء وافقت على ساسكيا أم لا، فهذا لا يشكل فرقاً عندي، فأنا أحبها ودوماً سأحبها، وما من تهديد أو رشوة أو مداهنة أو تملق منك قد يغير ذلك».

ساد صمت قصير قبل أن يومىء الرجل العجوز برأسه قائلاً: «هذا



حسن. أنا مسرور لسماعي هذا، امرأة مثل ساسكيا تستحق أن تكون مركز اهتمام قلب زوجها وحياته».

ثم أضاف وقد اغرورقت عيناه بالدموع: «إنها تذكرني كثيراً بإليزابيت. فقد كان لديها الحنان نفسه والاهتمام بالآخرين».

وصمت قليلاً ثم قطب جبينه فجأة وهو يرى خاتم ساسكيا: «ما هذا الذي تلبسه؟ إنه لا يناسب عروساً من آل ديمتريوس. لقد أدهشتني يا أندريس، ماسة «سوليتير» تافهة؟ ستلبس خاتم زوجتي إليزابيت، و..».

فقاطعه أندريس بحدة وخشونة: «لا.. لا داعي لأن تلبس ساسكيا خاتم جدتي».

وأجفلت ساسكيا وراحت تفكر: أتراه سيخبر جده الآن بأن المسألة كلها كذبة؟ أتراه لم يحتمل فكرة أن تلبس ساسكيا خاتم زواج الجدة المقدس في الأسرة؟.

وتابع أندريس: «فإذا أرادت ساسكيا خاتماً آخر فهي التي ستختاره بنفسها. حالياً، أريدها أن تلبس الخاتم الذي اخترته لها بنفسي. ماسة متألقة نقية رائعة الجمال مثلها».

رأت ساسكيا والدة أندريس وشقيقته تفتحان فمهما ذهولاً، مثلها هي، إزاء هذا الكلام الشاعري الرقيق.

واغرورقت عيناها بالدموع وهي تنظر إلى الماسة في أصبعها، كانت رائعة. وهي دوماً تراها كذلك كلما لبست الخاتم، ولطالما تمنت أن تلبسه مع الحب. فالعهود التي تعطى مع الخاتم هي التي تعطيه قيمة وأهمية عند المرأة العاشقة، وليس قيمته المادية.

لكن جد أندريس وضع جانباً هذا الموضوع وقال بمرح: «هذا حسن جداً، لكن ما أريد معرفته الآن هو، متى تعتزمان الزواج؟ أنا لن

أعيش إلى الأبد، يا أندريس، وإذا أردتني أن أرى صبيانك..».

فقال أندريس محذراً: «جدي...».

* * *

بعد الغداء الاحتفالي، عادت ساسكيا إلى غرفتها بوقار برفقة أندريس كما ينبغي للخطيب العاشق، الحامي لخطيبته. وخارج الغرفة، لمس أندريس ذراعها بخفة مرغماً إياها على الوقوف والنظر إليه، وهو يقول بجفاء: «أنا آسف لما حدث في مدينة أثينا».

ثم بدا على وجهه الغضب وهو يتابع: «لا يحق لجدي أن يمتحنك...».

فقاطعته بهدوء، مدافعة عن جده: «لو كنتَ أنت مكانه لفعلت الشيء نفسه بالضبط، إنه عمل طبيعي تماماً. وأنا أتذكر ما فعلته جدتي في أول مرة خرجت فيها مع شاب».

وضحكت، ثم سكتت وهي ترى أندريس يهز رأسه ويقول بخشونة: «إنها تحميك طبعاً، ولكن أما كان على جدي إدراك الخطر الذي كان يمكن أن تتعرضي له؟ ماذا لو أخطأ في توقيت (المصادفة) التي جمعتكما معاً؟ كنتِ وحيدة في مدينة لا تعرفينها. لقد ألغى تعليماتي التي أعطيتها للسائق وطلب منه الابتعاد عن الأنظار ريثما يعود هو إلى سيارته الخاصة».

فقالت بهدوء: «حصل ذلك في منتصف النهار يا أندريس».

إلاّ أن أندريس لم يقتنع بذلك، فأضافت ساسكيا: «حسناً، على كل حال لن يحاول جدك بعد الآن إقناعك بالزواج من أثينا. لقد نجحت خطتك وتم لك ما تريد».

قالت ذلك تسترضيه وهما يدخلان غرفة النوم، وإذا بها تقف فجأة وهي ترى في وسط الغرفة حقائب جديدة.



فسألت بصوت متردد: «ما هذه..».

فقاطعها قائلاً: «طلبت من ماريا حزم أمتعتنا. لقد حجزنا في أول طائرة تقلع صباح غد إلى لندن».

فسألته بدهشة: «هل سنرحل؟».

ثم أدركت حماقتها إذ كيف تظهر ذهولها لذلك. طبعاً هما راحلان، ذلك أن أندريس لم يعد بحاجة إليها الآن، فقد أوضح جده تماماً أثناء الغداء أنه لم يعد مرغوب بأثينا تحت سقفه. وأجاب أندريس بخشونة: «لم يعد لنا أي خيار آخر. سمعت ما قاله جدي، والآن بعد أن أثبتت فحوصاته الطبية أنه على ما يرام، فهو متلهف لإيجاد ما يشغله مثل تنظيم حفلة الزفاف. لن يدع فرصة كهذه تفوته حيث سينفق المبالغ الباهظة على حفلة الزفاف ويجمع كل أصدقائه المقربين من رجال الأعمال تحت سقف واحد. وأمي وأختي تشبهانه في الإسراف فهما تريدان ملابس مصممة لهما خصيصاً، وثوب زفاف لك تستغرق خياطته شهوراً، وخططاً لتكبير القيلا بحيث تستوعب الأحفاد الذين علينا إنجابهما نزولاً عند رغبة جدي وأمي..».

كانت ساسكيا تلتهم كل كلمة، فالصورة الخيالية التي طبعها في ذهنها، رسمت في نفسها بهجة وفرحاً كانت تحلم بهما. وأصبحت هذه اللوحة أكثر إغراء مع كل كلمة ينطق بها أندريس إلاّ أنها كانت تعلم أن تحقيق حلمها مستحيل، فما قامت به كان تمثيلاً لدور انتهى وستعود إلى واقعها.

وإذ بكلمات أندريس التالية تصيبها بالذهول والصدمة: «لكن علينا أن نتزوج فوراً، إذ لا وقت لدينا».

صاحت به شاحبة الوجه: «ماذا تقول؟ لا يمكن أن تكون جاداً في كلامك، لا يمكننا أن نتزوج، لمتابعة التمثيلية..».

فقاطعها بمرارة: «أنا أريد أن أحميك يا ساسكيا».

فقالت باستهزاء: «ومنذ متى يُبنى الزواج على مبدأ الحماية. فأنا لا أريد حمايتك، ولا أريدك أبداً».

وحين سمع منها شهقة ألم أظلمت عيناه ندماً. وقال: «ساسكيا.. يا حبيبة قلبي.. آسف جداً، لم أقصد أن أجرحك، وإنما ليتك تدركين كم أنت غالية على قلبي».

حدقت ساسكيا إليه غير قادرة على النطق، أو الحركة أو التنفس وهي تسمع كلامه المليء بالمشاعر هذا. هل كان يمثل؟ لا بد أنه يمثل، فهو لا يحبها وهي تعلم ذلك. ورغم أنها كانت تتشوق لسماع مثل هذه الكلمات منه إلاّ أنها كانت تعلم بعدم صدقها. لذا، شعرت بعذاب لا يطاق.

فأمسكت بالخاتم الذي يحيط بإصبعها وحاولت نزعه بعنف، وقد غامت عيناها غضباً، ولمعت فيهما دموع الكبرياء والألم بينما كان أندريس ينظر إليها كما كان ينظر إليها طوال وقت الغداء.

وقتها قالت له أوليمبيا بحماسة: «شعرت بغضب بالغ حين عرضت أثينا على ساسكيا ذلك المبلغ، وأنا فخورة بها. إنها تحبك كثيراً. ظننت أنا ما من امرأة تستحقك، يا أخي الرائع، لكنني أعرف الآن أنني كنت مخطئة فساسكيا تحبك بقدر ما تستحق أنت أن تحبك امرأة، وكما سأحب أنا ذات يوم الرجل الذي سأتزوجه..».

وهمست في أذنه أمه أيضاً: «إنها تناسبك تماماً، يا حبيبي».

وكذلك قال له جده متأثراً: «إنها شابة رائعة الجمال وذات قلب أكثر جمالاً».

وحدث بعد الغداء أن راح الجد يغيظ قليلاً ساسكيا ممازحاً، فالتفتت إلى أندريس تلتمس الحماية بشكل عفوي، فجعلته هذه النظرة



في عينيها يتمنى لو يختطفها ويحملها إلى مكان تكون فيه له وحده، ويجعل تلك النظرة في عينيها لطلب حمايته تتكرر مرة بعد مرة.

استطاعت أخيراً ساسكيا نزع الخاتم من إصبعها وقدمته إلى أندريس رافعة الرأس، قائلة بجدية:

ـ لا شيء يدفعني للزواج من رجل لا يحبني.

أغمض أندريس عينيه وأخذ يردد كلماتها ليتأكد من أنه لم يخطئ سماعها، ثم عاد ففتح عينيه متقدماً نحوها. كان على وشك القيام بأكبر مغامرة في حياته، فإذا خسر هذه الخطوة، خسر كل شيء، وإذا ربحها..

تنفس بعمق، ثم سألها برقة: «ألا يعني هذا أنك لن تتزوجي أبداً رجلاً لا تحبينه؟».

جمدت ساسكيا في مكانها وقد شحب وجهها ثم عاد فاحمرّ قليلاً:

ـ أنا.. أجل هذا ما عنيته بقولي.

وسكتت برهة عندما تغلب عليها الألم، ثم عادت وكررت قولها باحتجاج عندما أخذها بين ذراعيه:

ـ لا أستطيع أن أتزوجك يا أندريس.

فقال أندريس بصوت منخفض وهو يحتضنها: «وأنا لن أدعك تذهبين، يا ساسكيا».

فسألته: «لماذا؟ لتحميني من الذئاب؟».

لكنها تلعثمت عندما شدد من احتضانها فهمس وهو يعانقها: «لأجل ذلك... لأجلك».

فقالت بدهشة واحتجاج:

ـ أنا؟.

لكنه لم يدعها تكمل.

فأحاط وجهها بيديه، ونظر في عينيها وقد بان الألم البالغ في عينيه المثقلتين بالندم، الملتهبتين بالحب والرغبة، وهو يقول ضارعاً: «أرجوك، يا ساسكيا، إمنحيني فرصة أريك فيها كيف ستكون الأمور بيننا، كيف ستكون ممتازة!».

فسألت وقد بدأت تشعر بالدوار:

ـ ما الذي تحاول أن تقوله؟

فأجاب وهو ما زال محيطاً وجهها بيديه:

ـ أحاول أن أقول بالكلمات ما سبق وقاله لك قلبي ومشاعري وروحي وجسدي، يا حبيبتي ومعبودتي، لا بد أنك تشعرين بما أشعر به؟

رفعت بصرها بتعجب ونظرت في عينيه لترى إن كانت تجرؤ على تصديق ما تسمع، وهي تشعر بقلبها يخفق بمزيج من البهجة والإثارة. لا يمكن لرجل تزييف نظرات بهذا الشكل الذي ينظر به أندريس إليها. وإذا لم يكن هذا كافياً، فإن عناقه لها يعطيها رسالة حب واضحة منه، ولم تستطع منع نفسها من الاحمرار خجلاً وهي تشعر بأن كيانها يستجيب له وليس قلبها فقط.

ثم قالت له بجرأة:

ـ ظننتُ أنك ترغب فيّ فقط.

وعندما أخذ أندريس يضحك، سألته بارتباك: «ماذا تراني قلت؟».

فأجاب وما زال يضحك: «يا أعز حبيبة، أضحك لبراءتك وسذاجتك.. فأنت لم تتعرفي إلى رجل غيري حتى..».

وسكت ثم نظر إليها باسماً، وقبّلها برقة قبل أن يقول: «لا، ولماذا



أزعج نفسي بالشرح، فعلى كل حال، لن يكون لديك الفرصة للتعرف إلى شخص آخر. فأنا وأنت، يا ساسكيا، سنتزوج، ونتشارك الحب والفرح ونعطي بعضنا بعضاً الحب طوال حياتنا».

عندئذٍ همست ساسكيا ببهجة وهو يأخذها بين ذراعيه: «أوه، يا أندريس».

***

WWW.ELROMANCIA.COM
مـــرورـيـــة

## الخاتمة

ـ حسناً، ربما لم يكن عرسنا حسب رغبة جدك، لكنه حتماً لن يسمح لنا بأن تكون حفلة العماد عائلية هادئة.

وضحكت ساسكيا مع أندريس وهما يشملان بنظراتهما الحشد الضخم من المدعوين الذين ملأوا جناح «المناسبات الخاصة» الذي أكمل وأُثث حديثاً في أحد فنادق مجموعة «فلاغشيب بريتيش».

فسألها أندريس بقلق أبوي: «هممم.. هل أنت واثقة من أن روبرت سيكون على ما يرام مع جدي ؟».

ثم راح يركز اهتمامه على الناحية الأخرى من القاعة حيث كان جده يتباهى بحفيده البالغ الثلاثة أشهر وهو يريه لأصدقائه من أرباب الأعمال. فقالت ساسكيا ضاحكة: «لقد حمل جدك في زمانه أطفالاً أكثر مما حملنا، أنا وأنت».

ـ ربما، ولكن أياً منهم لم يكن ابننا. أظن من الأفضل أن أذهب وأستعيد روبرت من جدي، يبدو وكأنه بدأ يتململ. كما أنه لم ينه طعامه بعد..

وقالت أوليمبيا لساسكيا وهما تنظران إلى أندريس يهرع نحو ابنه: «بالنسبة إلى ذكر الآباء الشغوفين بأولادهم، كنت دوماً أعلم أن أندريس سيكون والداً جيداً..».

ابتسمت ساسكيا لأوليمبيا وهي تنظر إلى زوجها حاملاً بمهارة ابنهما الذي ولد بعد عشرة أشهر على زواجهما. وهي وأندريس يعلمان



أنه في الوقت الذي يبلغ فيه ابنهما عامه الأول، سيكون لديه شقيق أو شقيقة.

وعندما أخبرت ساسكيا أندريس لأول مرة عن ذلك قبل أن تتأكد تماماً، قال لها محتجاً:

ـ أليس هذا مبكراً أكثر من اللازم؟.

فكان أن احمر وجهها خجلاً، ثم ضحكت وقد تذكرت، كما كانت واثقة من أن أندريس يتذكر هو أيضاً، إنها هي التي استلمت زمام المبادرة في أول اتصال بينهما بعد ولادة روبرت.

كان أندريس أكثر الآباء روعة، وأروع من ذلك أنه كان زوجاً وعاشقاً. وتنهدت ساسكيا وقد بدت في عينيها نظرة فهمها أندريس على الفور.

إذا كانت والدة أندريس قد دهشت عندما سلمها أندريس حفيدها فجأة، مصرّاً على أن هناك شيئاً عليه التحدث به مع زوجته على انفراد، فهي لم تظهر تلك الدهشة بل ذهبت لتجلس مع جدة ساسكيا التي سبق وعقدت معها صداقة متينة.

ـ أندريس، لا.. لا يمكننا ذلك.

تصاعد احتجاج ساسكيا عندما قادها أندريس إلى أكثر غرف الفندق رفاهية، ثم أقفل الباب عليهما، وأجابها مداعباً:

ـ ولِمَ لا؟ الفندق ملكنا ونحن متزوجان.. وحالياً، رغبتي بك قوية.

ـ همم.. أندريس.

وتأوهت عندما عانقها بقوة وراح يقبلها.

ـ همم.. أندريس.. ماذا تريدين من أندريس؟

ولم تجب ساسكيا وإنما جذبت رأسه نحو رأسها تقبله.

فهمس أندريس:

ـ لقد أدركت من النظرة الأولى أنك امرأة ساحرة.. يا امرأتي الساحرة.

وضحك أندريس مع ساسكيا برقة وغابا في بحر من الحب.

***

WWW.ELROMANCIA.COM
مـــرمـــوريـــة